عبدالله کنون

تحرکات اسلامیة

المحتوى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

كانت الرحلة وما تزال ، وسيلة من وسائل المعرفة والاطلاع والدراسة العلمية والاجتماعية . ولقد اعتنى بها سلف الامة واغتنموا اداء فريضة الحج ، فكانوا يضربون فى الارض طولا وعرضا لطلب العلم والاعتبار باحوال الامم ، حتى ظهر منهم الرحالة العالميون ، ناهيك بابن بطوطة الذى جاب اكثر المعمور وترك لنا رحلته التى لم تفقد قيمتها حتى اليوم بعد مرور اكثر من ستة قرون عليها .

ولقد انشأت الرحلات فى اللغة العربية ، بابا من ابواب الادب الوصفى ، يقبل عليه كثير من القراء بشغف كبير ، وتنوعت الرحلات الى سفارية ، وهى التى يقوم بها سفراء معتمدون بين دولة واخرى ، وحجازية وهى التى يكون الغرض الاساس منها الحج الى بيت الله الحرام ، بالاضافة الى لقاء العلماء والاخذ عنهم أو العكس ، اى اخذ أهل البلاد التى يمر بها الحاج عنه ، ان كان من اهل العلم المعروفين بسعة الرواية ورسوخ القدم فى المعرفة . والى رحلة عامة ، وهى التى يقصد بها اغراض شتى، من سياحة وحج ولقاء المشائخ ووصف البلدان وغيرذلك .

ويطول بنا الكلام اذا اردنا ان نذكر جميع انواع الرحلات واصحابها ، فلنمثل لبعض الاصناف ، ولنقتصر على الرحلات المغربية المشهورة فى هذا الصدد .

فالسفارية مثل رحلة ابى بكر بن العربى ووالده الى بغداد عن امير المسلمين يوسف بن تاشفين فى القرن الخامس لطلب العهد له من الخليفة العباسى ، ورحلة التمجروتى المسماة بالنفحة المسكية فى الرحلة التركية ، ورحلة الوزير فى افتكاك الاسير الى اسبانيا ، والترجمانة الكبرى وهى رحلة ابى القاسم الزيانى الى توكيا موفدا من قبل السلطان محمد بن عبد الله العلوى .

والحجازية مثل رحلة ابن رشيد الفهرى المسماة ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الرحلتين الكريمتين الى مكة وطيبة ، وهى ما هى ، ورحلة العبدرى الشهيرة ، ورحلة العياشي المسماة ماء الموائد ، وهي عامرة بالفوائد

والعامة مثل رحلة ابن بطوطة ، وقد مرت الاشارة اليها .

والكتاب الذى بين يدى القارىء هو مما يتصل بغالب هذه الاغراض ، ففيه من السفارة نصيب ، والحج من اهم مقاصده ، ولقاء رجالات الاسلام والعمل معهم يدابيد على ما فيه خير الملة والدين مما هو ثمرة العلم ، هو المحور الذى تدور حوله هذه الرحلات ، ولذالك اطلقت عليها اسم (تحركات اسلامية) .

انها فى الحقيقة ليست رحلات بالمعنى المتعارف فانا قلما اذكر فيها ما تعود اصحاب الرحلات ان يذكروه من اوصاف البلدان وعدد السكان ، وأحوال الصناعة والتجارة، ومظاهر العمران والحضارة وما الى ذلك مما يوجد مفصلا فى كتب الجغرافية والتقاويم ، ولكنها تنقلات لغاية شريفة تهم كل مسلم غيور ، هى رصد هذا المد الاسلامى الصاعد من أقصى الشرق الى بلاد المغرب، وتوجيهه نحو خدمـــة الاهداف العليا لدعوة الاسلام، واعلاء كلمة الله، وتحقيق غد افضل للمسلمين، يكونون فيه كما اردا الله لهم خيــر امة اخرجت للناس، بالعمل على الرسالة الخاتمة التى احلت النور محل الظلمة، وهدت من الضلالة، وارتفعت بمن اعتنقها الى مستوى الانسان الكامل.

وذلك من خلال المؤتمرات الاسلامية الى شاركت فيها او الدعوات التى استجبت لها من قبل اخوان مسلمين يعملون لنهضة الاسلام فى بلادهم ، سواء فى شرق او غرب .

ذالك ما سجلته فى هذه التحركات ، وما زاد عليه فهو مما اتى عرضا اولم يكن مقصودا بالذات وانما قصرت كلامى فى هذا الكتاب على الرحلات التي لها صبغة اسلامية ، علما بانهـا هى التى تهم جماهير القراء . اما الرحلات العلميــة والادبية فلها قراء مخصوصون ، وستكــون موضوع كتــاب آخر ان شاء الله .

عبد الله كنون

**

مشاهداتي في الحجاز

لما تفضل جلالة الملك محمد الخامس نصره الله بتعييني رئيسا لوفد الحج الرسمى لسنة 1957 كان ذلك مفاجاة لى حقا ، وان تكن مفاجاة سارة ، وليس السبب هو اننى لم اكن افكر فى الحج ، وهو فرض من فروض الاسلام، ولكن لان موسم الحج كان قد اقترب ، ولم يبق له الاايام قلائل، اسبوع او اسبوعان، بل اسبوع فقط، لان الاسبوع الثانى فيه سيكون السفر، فكيف يتأتى الاستعداد لهذه السفرة الطويلة الشاقة فى مثل هذه المدة القصيرة ؟ وهناك مهمة الوفد، وما هى هذه المهمة ؟ لم أجد من يشفى غليلى من أمرها أو على الاصح لم اكن على استعداد فى غمرة هذه المفاجاة لاستيعاب جميع تفاصيلها.

ثم هذه ثلاثة أيام تقتطع من هذه المدة، اذ كنا سنقابل جلالة الملك بعاصمة الرباط صبيحة يوم السبت 22 يونيه، فاذا بجلالته يمدد اقامته بمراكش - وقد كان فى زيارة رسمية لها - فيقع النداء علينا معشر اعضاء الوفد يوم الاربعاء 19 منه للمقابلة بمراكش صبيحة يوم الخميس غده.

وقد كانت مقابلة مؤثرة جدا ، زودنا فيها جلالته بنصائحه الغالية وغمرنا بعطفه السامى ، ثم كان مسك ختامها الحضور مع جلالته فى زيارة قبر امير المسلمين يوسف بن تاشفين والوقوف على التصميم الذى وضع لبناء قبر مؤسس مراكش العظيم .

انه عصر المفاجات كما يقولون وعصر السرعة ، فلنكن من ابناء عصرنا ، ولننغمر فيه ، ولنقبل على ما نحن بصدده متوكلين على الله .

وهذه مفاجأة اخرى سارة كذلك، وهى الرفقة الطيبة، التى لو كان لكل واحد منا رأى فى اختيارها، لما اختار اوفق منه واكثر انسجاما فكريا وخلقيا، زيادة على ما بين غالب أفرادها من المودة القديمة التى لا تنفصم عراها، وهذا ايضا عامل من عوامل التشجيع على هذه الرحلة المباركة، وسيكون له اثر فعال في تسهيل مهمة الوفد .

وقد عدنا يومنا من مراكش ، وقضينا يومى 21 و 22 يونيه فى الرباط وسلا بين اتصالات كريمة باخوان اعزاء ، واتخاذ بعض الاجراءات الضرورية ، كقطع تذاكر الرجوع بالطائرة عبر الاقطار العربية التى قررنا زيارتها بعد الحج ، والتأشير على جواز السفر من طرف ممثلى البلاد التى سنمر بها ، والتزود ببعض العملات الاجنبية ، فضلا عن ترتيب حقائبنا بحسب المعلومات التى استفدناها من شركة الطيران.

وفى منتصف ليلة 23 يونيه موافق 24 ذى القعدة 1376 كنا نحلق بالطائرة فوق مطار سلا فى طريقنا الى جدة ، وكان المطار غاصا بالنسمات الغزيرة من اسر الحجاج التى جاءت لتوديعهم ، على أنه لم يخل من بعض الشخصيات الرسمية والصديقة كوزير التاج السيد الحاج المختار السوسي، ووزير الاشغال العمومية السيد محمد الدويرى ، ومدير التشريفات السيد الحاج احمد بنانى ، والمكلف بوزارة الاوقاف السيد المكى بادو، والاستاذ السيد محمد الطنجى رئيس قسم الوعظ والارشاد بهذه الوزارة، والسيد قاسم الزهيرى مدير الاذاعة الوطنية، والفقيه السيد الحاج محمد التطوانى ، وغيرهم.

وسارت بنا الطائرة بقية الليل وصبيحة يوم الاحد حتى الساعة الثامنة بتوقيت المغرب والعاشرة بتوقيت ليبيا حيث حطت بمطار ابن غازى ، .. ولم نلاق فى سيرنا مايزعج وصلينا الصبح قياما مستقبلين ، ولكن افرادا لضيق المكان – على اننا فى بقية اسفارنا في الطائرات الاخرى ، لم نكن نستطيع الصلاة الاجلوسا فى مقاعدنا . . . وذلك لان مكان الوفد فى طائرة المغرب كان فى المقدمة ومتسعا قليلا بخلافه فى غيرها من الطائرات .

ونزلنا للاستراحة بمطار ابن غازى فوجدنا فى استقبالنا كاتب السفارة المغربية بتونس السيد عبد

الرحمن غازى فآنسنا بحديثه وأبدى مزيد الاعتناء بالوفد والحجاج كافة ، وقابلنا هناك فوج من الطلبة المغاربة الذين انهوا دراستهم الثانوية بمعاهد ليبيا ، وابدوا لنا رغبتهم فى الرجوع الى المغرب ورؤية بلادهم مستقلة ، وقد كانوا خرجوا منها وهى ترزح تحت نير الحماية فى ايام الازمة ، فارشدناهم الى الاتصال بوزارة المعارف عن طريق سفارة تونس .

وعلى الساعة الثانية عشرة بالتوقيت الليبى ، اى بعد استراحة ساعتين تحركت بنا الطائرة فى اتجاه جدة واثناء السير احسسنا بتغير الجو واشتداد الحرارة، ولم يكن منظر الصحراء من الطائرة الا مما يزيد النفس انقباضا ، وعند التحليق فوق القطر المصرى ، كانت العمارة على ضفتى النيل تلوح لناكخط دقيق في وسط هذا الخضم الهائل من رمال الصحراء . وكنا اثناء خروج الطائرة من اقليم الصحراء الى الاقاليم الجبلية او الى البحر ، نشعر بخفقات قوية من هذه التى يسمونها في مصر (مطبات) وقد سألت عنهـا الدكتور منصور فهمي سكرتير المجمع اللغوى المصرى ، ونحن فى ضيافة سماحة مفتي فلسطين السيد الحاج امين الحسينى ، وعرضت فى الحديث فقال انها من كلام العامة.

وبعد ان قضينا سبع ساعات ونصفا في الجو اى بعد المغرب بقليل ، كنا ننزل في مطار جدة ، ونتقابل مع صديقنا

سفير المغرب بالحجاز الفقيه السيد محمد غازي. وقد بذل لنا يد المساعدة هو ومساعدوه فمرت الاجراءات وغيرها على ما يرام... وفى تلك الاثناء كنت اتأمل فى حركة المطار فارى افواجا عديدة من البشر على اختلاف الوانهم والسنتهم يتسابقون الى حيث ينجزون مع الموظفين السعوديين الاجراءات اللازمة للدخول الى المملكة العربية ، وهؤلاء الموظفون الذين يعدون بالعشرات ، ما بين شاب وكهل ومعمم ومطربش يقومون بأعمالهم فى منتهى النظام والادب، ورجال الشرطة مبثوثون هنا وهناك يسهرون على الامن ويمنعون الفوضى ، وبما ان الجو كان فى غاية الحرارة فان بناية المطار كانت تعج بالمراوح الكهربائية لتلطيف الهواء.. والمهم اننا لم نر اجنبيا واحدا يقوم بعمل ما فى ادارة المطار ولم نقرأ كلمة واحدة غير عربية على مكتب اولافتة .

وركبنا على اثر ذلك السيارة الى دار السفير ، حيث نزلنا ضيوفا على سيادته، وكانت السفارة لم تتمكن بعد من حجز غرف لنا فى احد فنادق جدة ، لا نها لم تعلم بقدوم الوفد الا يوم وصوله وكانت جميع الفنادق حينئذ قد غصت بالنازلين فيها، فمن المستحيل ان تلقى محلا فارغا فى فندق لنزول فرد فاحرى افراد ، وليت شعرى من المسؤول عن هذا الاهمال الذى ادى بنا الى (التثقيل) على سفيرنا الكريم...؟

اصبحنا يوم الاثنين 25 ذى القعدة نتجول فى شوارع جدة ، وقد زرنا السفارة ثم ذهبنا الى مصرف الهند الصينى، حيث حولنا مامعنا من صكوك مالية الى اوراق مالية سعودية، وأعلى ورقة مالية سعودية تبلغ عشرة اريلة ، فليتصور الانسان اى حمل ضخم يكون عليه ان يصحبه فى كل ايام الحج ، وخصوصا اذاكان معه نصيب لاباس به من المال ، ولا يمكن ان ياخذ بذلك المال حوالات صغيرة على بعض المصارف فى مكة والمدينة ،لان هذه المصارف كما قيل - تقفل فى ايام الحج .

وبعد الفراغ من هذه الاعمال جعلنا نطوف على الفنادق علنا نجد فيها فراغا يؤوينا . . . وكان زميلان لنا وجدا غرفة ثنائية فى (فندق الحرمين) فهنئنا بها، وتناولنا طعام الغداء فى فندق جميل يسمى (قصر قريش) وقد قضينا فى بهوه المكيف مدة انعشت نفوسنا من التعب والحر ، ولم نتركه حتى وعدنا المكلف بايجاد محلات لنا من الغد، ولكن الغد لم يحن حتى كنت انا وأحد الرفقاء قد اصبنا بهذا الزكام الاسيوى، او حمى الانفلونزا ، كما تسمى هناك وأقمنا تحت العلاج بدار صديقنا السفير.

شعرنا بان الجو فى هذه البلاد لا يطاق وكان من رأى اكثر الرفقاء أن نتمتع بحجنا وبهذه البلاد العزيزة كل التمتع،

فجعلوايعدلون عن الراى ، وقررنا جميعا ان نقوم بواجباتنا اتم القيام وفى أقل الايام ، ولذلك فقد عزمنا على تقديم الزيارة والرجوع لاداء مناسك الحج حتىاذا فرغنا منها غادرنا الحجاز فى اول فرصة . . وكان الناس يتحدثون بان الحكومة ستوقف السفر الى المدينة المنورة بعد يوم او يومين منعا للازدحام ، فكيف يتأتى لنا السفر ونحن لا نزال فى قبضة المرض ، وقد اصيب منا رفيق ثالث ايضا ؟ ومع ذلك فامامنا مقابلة جلالة الملك سعود وتقديم رسالة الاعتماد اليه(1)...

ان الامور فى بعض الظروف لا تسير على احسن منوال الا عندما تتأزم الحال ، وهكذا فمن كان يدرى اننا نقدم طلب المقابلة مع جلالة الملك سعود الذى لم يكن فى جدة يومئذ فيأتى غدا ، وينعم بمقابلتنا بعد غد ، اعنى يوم الاربعاء 26 يونيه ـ 27ذى القعدة . . . ولا يأتى يوم الموعد حتى نكون قد شفينا من المرض والحمد لله ، واخذنا اهبتنا للمقابلة الملكية التى كانت فى قصر جدة على الساعة الحادية عشرة بتوقيتنا ، ولا تسالنى عن التوقيت المحلى فانى من عشاق البساطة ولا احب التعقيد .

وقصر جدة قصر فخم يقع وسط حديقة واسعة

---

1) تنظر هذه الرسالة فى آخر هذا الحديث.

وبالتعبير المغربى، وسط رياض فسيحة (والرياض جمع لا مفرد) وهو مسور بسور لطيف، والطرق اليه وسط الرياض، ممهدة احسن تمهيد، وقد نصبت عليها عرائش ما زالت لم تستتم نباتها ، وخللت بالمصابيح الكهربائية القوية ، التى تجعل منظره بالليل بديعا للغاية.

وقد رأيناه من الطائرة فى ذهابنا الى المدينة وايابنا منها فكان قيد الانظار ، اما بناؤه فهو على الطراز التركى فى هذه المدرجات الطويلة ، وهذه البوابات العظيمة ، وهذه القبب الضاربة فى الهواء وهذه البلاطات الفسيحة، فاذا صرت بداخله رايت من الاعمدة الرخامية ، والعقود المزخرفة، والثريات العظيمة والزرابى الكبيرة ، ما يتناسب وعظمة الخارج ، وقيل لنا ان هذا القصر هو من بناء الملك سعود نفسه ، وكذلك جميع القصور التى يسكنها في انحاء مملكته الشاسعة الاطراف ، هى من بنائه ، وقد عوض بها قصور والده بجدة والتى تنازل عنها جميعا لوزارة التعليم فجعلت منها معاهد علمية لابناء رعيته.

وعلى كل حال فقد دخلنا هذا القصر العظيم، وقادنا رئيس التشريفات الى قاعة الانتظار الفسيحة التى لقينا فيها بعض الوجهاء السعوديين ، وسفير الصين الوطنية . والقاعة

مفروشة بزربية حمراء ، وبكراسى وارائك فخمة من المخمل ذى اللون الاحمر ايضا ، وهى مكيفة الهواء بحيث يخيل اليك انك بالمغرب فى ايام الربيع . . . وجاء الاذن بالدخول الى المحل الذى يوجد فيه جلالة الملك ، فاذا هو قاعة اعظم واعظم بكثير مما وصفنا ، وقد جلس جلالته فى صدرها على كرسى فخم ، واصطف على جانبها الحرس السعودى ببنادقهم والاضواء تنبعث من مصابيح الثريات الفاخرة فتزيد المنظر بهجة ، وقد سرنا من بابها اليه نحو العشرين خطوة ، فاذا به يقف ويصافحنا واحدا بعد واحد ، ويجلسنا عن يمينه ويساره ، ويرحب بنا احسن ترحيب فنقدم اليه رسالة جلالة مولانا الملك ، ونبلغه تحياته وعواطفه نحوه ، فيسالنا عن جلالته ويثنى عاطر الثناء عليه ، ويذكر زيارته للمغرب وما قوبل به من حفاوة بالغة ، ويسألنا عما كان يقال من عزم جلالة الملك على الحج هذه السنة ، فنقول: انها امنية جلالته التى لا يلبث ان يحققها حالماتحين الفرصة لذلك ، فيجيب بأنه يكون مسرورا غاية السرور باستقبال جلالة محمد الخامس فى هذه البلاد المقدسة ، وأنه يضع يخته وطائرته الملكيين تحت تصرف جلالته، وشكرنا جلالته على هذه العناية الكريمة وقدمت لنا القهوة والمبردات وانصرفنا مودعين بما قوبلنا به من حفاوة واكرام.

لقد قضينا فى جدة لبانتنا الكبرى ، فخرجنا نطوف على اسواقها وشوارعها ، واياك ، ياقارئى العزيز ان تظن ان ذلك ممكن بالنهار فى غير السيارة لشدة الحر ، وقد ذهب بعض الاصدقاء لزيارة قبر امنا (حواء) عليها السلام فلاندرى كيف وصل اليه .

والذى يلفت النظر فى جدة هذه الحركة الدائبة فى البناء والتعمير ، فكم من دور شاهقة ـ والدور فى جدة على الطراز الهندى تتكون من عدة طبقات ـ نراها تتهدم لان شارعا جديدا يخترقها ، وكم من بنايات جديدة على الطراز العصرى تقام هنا وهنك... ومن جملتها الفندق الجديد الذى يعد افخم فندق بجدة الآن، والذى دشنه الملك سعود فى ايام الحج . . . والشوارع الجديدة معبدة على احدث اسلوب ، وقد غرست الاشجار بجانبيها وان كانت ما زالت لم تكبر وتترعرع ، وقد قيل لنا انه قبل سنتين فقط كان من المستحيل ان ترى نبته او شجرة هنا ، والسبب فى ذلك قلة الماء بجدة ، اذ كان ماء الشرب فيها انما يستقطر من ماء البحر ، والان ، لماجرت الحكومة الماء الى المدينة من هذه العين التي تسمى عين فاطمة دبت الحياة فى جدة فنشطت حركة البناء والغرس، فكثيرا ما ترى حدائق (فيلات) انيقة يداعب النسيم اشجارها ، وينقل عبير ازهارها ، ولا يمـر

زمن طويل حتى يتلطف جو جدة ويعتدل هواؤها، بما ينشأ فيها ويستنبت من رياض ومنتزهات جميلة ، وصدق الله العظيم حين يقول : (وجعلنا من الماء كل شيء حي).

هذا وقد اجتمعنا في جدة بعالمين جليلين ، طالما سمعنا بهما وتمتعنا بآثارهما ، وهم الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي والاستاذ خير الدين الزركلي ، اما الشيخ الميمني فقد هبط الحجاز حاجا مثلنا واما الاستاذ الزركلي فقد قدم من مصر للاتصال بالملك سعود، ومن المعلوم انه كان مندوبا لجلالته لدى الجامعة العربية ، وعين اخيرا سفيرا للمملكة العربية السعودية في المغرب ، وكنا علمنا بهذا التعيين ليلة سفرنا من أرض الوطن ، فلما لقيناه هنأناه ورحبنا به ، فوجدناه مبتهجا مسرورا ، وتجاذبنا واياه اطراف الحديث ، وكذلك تحدثنا الى الشيخ الميمني ، احاديث علمية مفيدة وكانت سهرة ممتعة حقا في بيت السفير الكريم الاستاذ غازي .

وعلمنا ايضا بوصول صديقنا الاستاذ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ، فابتهجنا بلقائه ، وكنا اليه بالاشواق اذ كانت صلتنا به ايام مقامه في المغرب ، قوية جدا ، فلما غادره الى العراق مند عشر سنوات ترك في انفسنا فراغا لا يسده غيره .

وكنا نتوق الى التعرف برجل جدة وفاضلها الشيخ محمد نصيف ، فقد طالما حدثنا الصادرون والواردون عنه ورأينا كثيرا من الكتب التى قام بنشرها انتصارا للدعوة السلفية وتمكينا لها فى البلاد الاسلامية ـ ولكنه مع الاسف لم يكن فى جدة أنداك ، بل سافر الى الشام للاصطياف هناك، وقد قابلناه بعد فى مصر عند سماحة مفتى فلسطين .

وفى مدة اقامتنا بجدة كان المطوف السيد عبد الوهاب الحريرى ونجلاه السيدان محمد وعبد الرحمن يتصلون بنا ، ويقضون لنا المهام ، وعندما قررانا على السفر الى المدينة المنورة بالطائرة ـ على خلاف ما او صانا به الكثير من الحجاج وهو ان نسافر اليها بالسيارة ـ وياليتنا اخذنا بوصيتهم اقتطعوا لنا تذاكر الطائرة كما عنوا بكراء المنزل الـذى اقمنابه فى منى ، والسيارة التى صحبتنا بعد ذلك من جدة الى مكة ومنى وعرفات ، وقاموا بتهيئة جميع ما يلزمنا ليوم الوقفة ، (وذلك بمعاونة رجال السفارة طبعا) فجزاهم الله احسن الجزاء .

وقد اقمنا بجدة ثلاثة ايام فقط ، ومع ذلك فانها كانت مليئة بالعمل والنشاط والاتصالات التى ذكرنا المهم منها ،

على اننا اصبنا فيها بمرض الـزكام الاسيـوى كـما رأى القارىء ، ولكن الله عزوجل رزقنا الاعانة والتوفيق وبارك لنا فى تلك الايام القلائل حتى انهينا جميع اشغالنا واصبحنا فى فجر يوم الخميس 29 ذى القعدة ـ 27 يونيه نمتطـى الطائرة المتجهة صوب المدينة المنورة ، وكان ركوبنا لها قبل الفجر بقليل وان كانت هى لم تنهض الا بعد الاذان الذى سمعناه من مسجد المطار (وفى المطار مسجد) ومجىء الذين صلوا الصبح فى هذا المسجد من اهل البلاد ومن الذين كانوا يعرفون ان الطائرة لا تقوم الا بعد الصلاة ، وهكذا سرعان ما امتلات جميع المقاعد التى كانت فارغة وحلقت الطائرة فى الجو ، وكنا نحن على وضوء فمنا من صلى فى مقعده ومنا من انتظر النزول فى مطار المدينة حتى يصلى على الارض ولو فى آخر الوقت لا سيما ومدة السفر اقل من ساعة ، فما كان باسراع من انتشار نور النهار فى انحاء الافق، واذا بنا لا ننزل الا وقد اقبل النهار من هاهنا وهاهنا ، وفهمت كيف وقعت قضية الوادى التى وردت فى الحديث اذ كان النبى صلى الله عليه وسلم هو وصحبه الاكرمون على اهبة لصلاة الصبح فما اغفوا ، وهم ينتظرون طلوع الفجر ، الا وقد ضربتهم الشمس... ان ما بين الفجر هنا والشـروق متقارب جدا ، اليس هو الشرق ؟ . . . وهبطنا الارض وإى

ارض هي؟ أنها الارض التي انبعث منها شعاع الايمان فأضاء ما بين المشرق والمغرب، انها الارض التي آوت رسول الله فلم يبغ بها بديلا بعد ، وكان يدعو الله ان يحببها اليه والى اصحابه من المهاجرين كحبهم مكة مسقط رؤوسهم او اشد، انها الارض التي عرفت دعوة الحق فأيدتها وناصرتها وأصبحت دار الايمان الاولى كما قال الله سبحانه وتعالى فيها (والذين تبوأوا الدار والايمان) هي المدينة بال الحقيقة فلا مدينة غيرها، كما انه لا مدنية (بفتح الدال) غير المدنية التي نشأت بين لابتيها، هي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، مهبط الوحي، وموطن الجهاد، وقرارة العلم الذى اخرج الناس من الظلمات إلى النور، هي المدينة التي تثبت في كل لحظة صلة الارض بالسماء ، وصلة ساكنها عليه السلام بالرفيق الاعلى ، فأين منها مدن الناطحين (للسحاب) ؟ ومدن المستفتحين (بالكلاب) .. (1)

الله اكبر ، هذا احد ، الجبل الذى يحب الرسول ويحبه الرسول ،وهذه قبا ، حيث المسجد الذى اسس على التقوى ، من أول يوم . وهذه هي القبة الخضراء يغمرها النور ، ويتغمدها الرضوان ، وتحف بها ملائكة السماء .

---

1) الاشارة الى (لايكة) الكلبة التي كانت اول رائد للفضاء.

هذه دارهم وانـت محـب   ما بقاء الدموع فى الآماق؟

ودلفت بنا السيارة ، وكانت سيارة عمومية ، تقـل الزوار من مختلف بلاد الاسلام جاءوا يعشون الى ضوء هذا السيد الكريم الذى لاأكرم منه على الله . وهم على اختلاف طبقاتهم ، وتباين مقاماتهم ، كانوا فى منتهى الادب والخشوع مستشعرين عظمة الحضرة التى يقصدونها ، وهيبة المقام الذى يتوجهون اليه . . . وقطعنا المسافة بين المطار ووسط المدينة ، فى هذا الاستغراق الذى لم يكن يشوشه الا هذا السائق المرح يترنم ببعض التوسلات تارة بعد تارة، ويدخن، والتدخين فى ذلك الظرف كان عندى من قلة الذوق ، ان لم اقل من سوء الادب ، ولكنه سائق المدينة ، لا بد من احتماله، الم يكن يدخن ويتوسل ، ؟

وغادرنا السيارة ، وقصدنا الى البيت الذى نزلنا فيه، ونحن فى غمرة من الغبطة والسرور ، والسعادة ،والحبور ، بحيث ذهلنا عن انفسنا فلم ندر كيف تناولنا ماقدمه الينا رب مثوانا من طعام الفطور ، وقمنا نتجهز للزيارة الكريمة بتجديد الطهارة ، ولبس احسن الثيـاب وأوقـره والتطيـب

وما هي الا كلا ولا حتى كنا نقصد المسجد النبوى فهل هذه يقظة أم منام ،

هذا هو المسجد الذى وضعت فيه اسس العلم الاسلامى كله ، والعلم الاسلامى يعنى هذه الحضارة الزاهية التى عاش العالم ولا يزال يعيش فى ظلالها موفقا بين مطالب الروح والجسد وجامعا بين سعادة الدين والدنيا ، هذا احد المساجد الثلاثة التى لاتشد الرحال لغيرها ، ونحمد الله اننا لم نخالف عن هذا الامر قط ، طاعة لله ورسوله ، هذا هو المسجد الذى الصلاة الواحدة فيه خير من الف صلاة فيما سواه، فتعال بنا نغتنم هذا الفضل العظيم ونصل تحية المسجد بهذه النية راجين القبول من المولى الكريم...

وانصرفنا الى المواجهة الشريفة فلا استطيع ان اعبر عما خامرنا من شعور الهيبة والاجلال لذلك المشهد العظيم ووقفنا كانما على رؤوسنا الطير ،وخشعت ابصارنا ، ووجفت قلوبنا ، وكانت لحظة بمثابة العمر ، انطلقت فيها ألسنتنا بالسلام عليه صلى الله وسلم ودعاء الله عز وجل ان يجزيه عنا افضل ماجزى نبيا عن امته ، ثم السلام على صاحبيه وخليفتيه ، الصديق والفاروق رضى الله عنهما ورجعنا بعدها الى المكان الذى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : (ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) نرتع بما

يناسبه من دعاء وتفكر ، وقراءة ، وتدبر ، وصلاة ، الى ان صلينا الظهر وعدنا الى المنزل .

وجاء للسلام علبنا صديقنا الاستاذ السيد الحاج محمد بن اليمنى الناصرى ، فآنسنا بزيارته وحديثه ، ولم ينقطع عنا مدة اقامتنا بالمدينة النبوية ، وسيادته مجاوربها منذ عدة سنوات، فهنيئا له، وما تصلح تلك الاخلاق الطيبة الا لطيبة المطيبة :

اذا لم تطب فى طيبة عند طيب
به طيبة طابت فاين تطيب ؟

وكذلك زارنا نسيبه السيد محمد بن الطيب ، وهو يشتغل استاذا بمدارس الحجاز ، وبقى يتردد علينا فى المدينة وفى مكة وياخذ بيدنا اخذ الله بيده، ثم لقيناه في مصر وهو يستعد للعودة الى الوطن .. ومثله ادبا واخلاقا من يقول انا مغربى فى المشرق .

وعاودنى مرض جدة ، اى هذه (الانفلونزا) او انف العنزة كما يتوهم بعض الاطباء اصل الكلمة والواقع اننا اجهدنا انفسنا بالسفر قبل الفجر ثم الزيارة الطويلة التى مكثنا بها فى المسجد قرابة اربع ساعات فى زحمة عظيمة.. فمى العشية ثقلت عن الخروج وارتفعت حرارة جسمى الى

رقم غير عادى ، وهكذا مكثت ثلاثة ايام ، بعد ذلك تحت العلاج ، وتحامل الرفقاء على انفسهم ، وفى الحقيقة انهم كانوا دائما اكثر صبرا وتجلدا منى ، فخرجوا الى المسجد وبقيت وحدى فى المنزل ، اداري الحمى والصداع ورشح الانف ، على اننى اشهد انهم بقطع النظر عن مرضى كانوا دائما اكثر انقطاعا للعبادة واقوم بنوافل الخير منى ، على انهم لم يلبثوا ان اصيبوا واحداً بعد واحد بنفس المرض واضطروا لمعالجة الطبيب والاقامة بالبيت كل على حسب منته ، وضعف المرض او قوته ، جعله الله طهورا وممحص به عن الجميع ، وكنت اثناء مرضى استقبل الزوار الكثيرين ، ما بين مغاربة وحجازيين ، ممن لهم مخصصات معينة فى مال الوقف الذى معى، وممن لا مخصصات لهم وانما يؤملون ان تعمهم عطايا جلالة الملك على يد وفده الرسمى، فكان فى مرضى الذى اوجب اقامتى بالبيت ما سهل على انجاز هذه المهمة بسرعة، ولم يحوج هؤلاء الزوار الى تكرار الزيارة فى حالة ما اذا لم يجدونى فى البيت وهكذا توصل الجميع بما ينوبه فى الحال ، وانصرف رطب اللسان بالدعاء لمولانا الملك بدوام العز والنصر والتأييد .

والمغاربة المقيمون بالحجاز طبقات مختلفة ، منهم ـ وهم الاكثر عددا ـ اخواننا الشناقطة المشهورون منذ زمان بحب المجاورة فى البلاد المقدسة ، وذلك لانهم فضلا عن الشعور الدينى الذى يجذبهم الى المجاورة ينسجمون كثيرا مع طبيعة البلاد واهلها ، فلا يشعرون بفارق ما بين حياتهم فى وطنهم وحياتهم فى الحجاز. وهم كسائر المغاربة يفضلون المدينة على مكة، أليسوا مالكية؟ ومذهب مالك هو المشار اليه بقول خليل بن اسحاق : (والمدينة افضل ثم مكة) ولهذا فعددهم بالمدينة اكثر منه بمكة. على أنه فيهما معاً كثير، من اجل ذلك كان رفيقنا الاستاذ السيد محمد بن عبد الرحمن العلوى الشنقيطى يحس هنالك كأنه بين اهله وذويه، فما يزال فى زيارات متتابعة لهم، ولا نراه الا مع رفقاء عديدين منهم.

ومن المغاربة المقيمين بالحجاز افراد هاجر آباؤهم او هاجروا هم منذ مدة طويلة وهم يعتبرون من الرعيا الحجازيين كصاحب البيت الذى نزلنا فيه ، وينزل فيه وفد الحج الرسمى كل سنة وهو الحاج احمد ابو عزة وكالسيد محمد بن عبد الرحمن الوالى الفيلالى صاحب مدرسة التهذيب بالمدينة. وآل الوالى من الاشراف الادارسة بتافيلالت ، ويخطىء فيه الناس فينسبونه علويا على العادة فى كل شريف جاء من

تافيلالت اللهم الا ان يكون نسب الوالى هو الخطأ فتصح علويته حينئذ . وهذا الرجل هو من امثل المغاربة المقيمين بالحجاز اخلاصا ووطنية ويقوم بمهمة شريفة وهى التعليم . وقد استدعانا لبيته وزرنا مدرسته ، وان كان الوقت عطلة. وما أحرى هذه المدرسة بالمساعدة .

ومنهم ايامى كثيرات ، توفى ازواجهن عنهن اثناء الحج او بعد المجاورة زمنا، فلم يستطعن الرجوع الى المغرب... وهن يمثلن اكثر مدن المغرب ونواحيه ، من فاس ومراكش والدار البيضاء والقصر الكبير وتطوان وغير ذلك ، وحالتهن تدعو الى الرثاء ، فعسى ان يقع الاعتناء باحصائهن كسائر المغاربة وتسهل لهن العودة الى مساقط رؤوسهن او تنظم لهن اعانة مناسبة فى حالة ماذا اخترن البقاء هناك .

وقد تكرر ذكر البيت الذى نزلنا فيه ، ولم اشر الى انه البيت الذى كان يسكنه العلامة المحدث الشيخ سيدى محمد بن جعفر الكتانى رحمه الله مدة اقامته بالمدينة المنورة ، وعلى ما قيل لنا انه من اكبر البيوت القديمة ، وهو على الطراز التركى ، والطابق السفلى الذى كنانازلين فيه عبارة عن قاعة طويلة ذات دكتين مفروشتين بالحشايا والوسائد عن يمين الداخل ويساره ، فى حين ان وسط القاعة مفروش بالكراسى ، وفى اعلاه فتحة الى السماء بمثابة الحلقة التى تكون فى وسط الدار عندنا ، وعليها قلع ينشر فى وسط

النهار بواسطة حبال متصلة به لاتقاء شعاع الشمس ويطوى فيما عدا ذلك طلبا للتهوية ، وارتفاع هذه القاعة كبير جدا بحيث يساوى اعلى طبقة فى المنزل ، وقبل القاعة يوجد مقعد متوسط يستعمل كمحل للاكل وليس فى البيت حمام ولا دورة مياه عصرية ، والماء ينقل اليه بواسطة سقاء . كما ان الاستنارة فيه وفى غيره من بيوت المدينة ماتزال بواسطة مصابيح الغاز.. فالملاحظة العامة هى ان المدينة لم تحظ حتى الساعة بعناية كبيرة من حيث الاصلاح وادخال وسائل الحضارة فيما عدا المسجد النبوى .

واما المسجد فلا يستطيع احد ان ينكر العمل العظيم الذى قام به الملك سعود فى توسيعه وتجديده ،ولو لم يكن له اثر فى الحجاز الا هو لكفى ، والقسم الذى زاده الملك فى المسجد رائع جدا سواء من حيث البناء اى الزخرفة ، ولا مناسبة مطلقا بينه وبين القسم القديم ، ومن محاسنه ان التهوية فيه كهربائية بطريق (التكييف) بخلافها فى القسم القديم فانها فيه بطريق المراوح ، وكم تسبب من اضرار للمصلين .

وعلى كل حال فان المسجد بهذا العمل قد اتسعت ارجاؤه وصار متعة للنظر زيادة على كونه متعة للروح . وكم

يحلو للزائر الجلوس فى بلاط من هذه الزيادة بعد الزيارة والصلاة ، فيرى افواج الزوار داخلين من ابواب المسجد العديدة ، كل ولونه وسحنته ولغته ، يحدوهم الايمان ويدفعهم الشوق الى المقام الشريف فيسلمون ، ثم ياتون مشرقة وجهوهم مبتجهة نفوسهم ، فيجلسون هنا وهناك ما بين قارىء وداع ومستغرق فى التفكير والاعتبار ، حتى يرتفع هذا الصوت الملائكى ، صوت المؤذن ، ويا لله من مؤذن المدينة انه ذوصوتليس فى العالم اندى ولا اطرى ولا اعمق تاثيرا منه . وانه ، والله ، حينما يرجع كلمات الاذان ، ليخيل الى انه صوت منبعث من الجنة ، وان ما بيننا وبين العالم الباقى قد طوى ، ونحن فى باحات الخلد نرتع ، حياك الله يامؤذن المدينة ، وحفظ عليك هذه النعمة التى جعلتنى اعذر من قرأ قوله تعالى (يزيد فى الخلق ما يشاء) بالحاء المهملة ، وان كنت انكر عليه هذا الاغراب .

فاذا اذن المؤذن ارتج المسجد وغص بالمصلين على سعته ومضت هنيئة ليست من هذا العالم المادى فى شيء وكنت اتصوره صلى الله عليه وسلم مشرفا من عليائه ينظر الى هذه الالوف المؤلفة ، وقد تراصت صفوفها فى الصلاة ، فيبتسم فرحا بالمومنين من امته ، كما ابتسم فى مرض موته وقد اطل من حجرته فسره ما رأى من اقبال

الصحابة على عبادة الواحد الاحد جل وعلا ، ان المغزى فى هذا لهو ما عبر عنه البوصيرى رحمه الله فى داليته بقوله :

والمرء في ميزانه اتباعه   فأقدر اذاً قدر النبى محمد

وهو ما اقام منه الفيلسوف الانجليزى (كارليل) برهانا ساطعا على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم فان الدعوى التى لها هذا (الماصدق) الخالد فى واقع البشرية لا يمكن ان تكون كاذبة .

وجعلنا نتأهب لمغادرة المدينة ، ونفوسنا لا تقوى على ذلك ، ولقد اقمنا بها سبعة ايام مرت كانها طيف خيال وفى اليوم الذى عزمنا فيه على السفر، وصل اليها صباحا سفير المغرب بالعراق السيد الحاج الفاطمى بن سليمان ووزير القصور والاوسمة الاستاذ محمد المعمرى الزواوى وصحبتهما سفيرنا بجدة الاستاذ غــازى ومنــدوب وزارة الخارجية السيد عبد اللطيف العراقــي... فقضينا اليــوم جميعا فى أنس وسرور، لم ينغصه علينا الا تلاعب المزور الذى كان مكلفا باحضار تذاكر الطائرة التى سننتقل عليها الى جدة ، فكان يرد علينا آونة بعد اخرى ويطمئننا على انه يريد ان يحقق لنا وقت قيام الطائرة بالضبط حتى لا يطول انتظارنا بالمطار .. واخيرا لما ساورنا الياس منه، جاءنا وقد اذن للمغرب فأعلمنا بان الطائرة ستقوم حوالــى

العشاء فما علينا الا ان نخف حالا للمطار.

وعرفنا انه يريد ان يتخلص منا فقط ، وذهبنا للمطار، فما راعنا الا ندل المقاهى والمطاعم الشعبية التى حولها يعرضون علينا كراء اسرة للنوم نقضى عليها ليلتنا فى الفضاء ريثما يحين موعد قيام الطائرة ، وبتنا فعلا بالمطار ، ولولا مرؤة مديره الذى اتصل به بعض الرفقاء فتأسف لما وقع ، واكد لهم ان هذا من تهاون المزور ، واذن لنا بالسفر على الطائرة التى قامت بعد منتصف الليل بثلاث ساعات ، لما كنا غادرنا هذا المطار الا فى ضحى الغد، وفكر في التعب.. الذى نلقاه والحر الذى نستهدف له ، واحكم على معاملة هذا المزور الذى ما لقى منا الا كرم المعاملة واجملها ، ولقد قيل لنا ان الوفد فى العالم الماضى بقى يتردد على المطار ليلتين، ونحن لما وصلنا الى المطار وجدناه غاصا بالركاب المنتظرين وقد باتوا كلهم هناك ، وركب البعض منهم قبلنا وتركنا الباقين ينتظرون دورهم. هذا امر يجب النظر فيه، ونقص لابد من تلافيه .

وركبنا الطائرة الى جدة فى طريقنا الى مكة المكرمة وأحرمنا في الجو عند مسامتتنا للميقات بعد أن أخذنـا اهبتنا لذلك عند الركوب ، ولما وصلنا ، وجدنا السيد السفير فى استقبالنا ، وكان قد خرج بعدنا من المدينة المنورة بالسيارة هو والرفقة الذين اتوا معه صباحا فتصور كيف وصلوا قبلنا والمسافة بين المدينة وجدة بالسيارة لا تقطع فى اقل من خمس ساعات ؟ ان ذلك كله من عواقب الانتظار فى المطار .

وكنا نريد ان نستريح بالفندق الجديد الذى حجزت السفارة لنا فيه بعض الغرف ، فلما وصلنا اليه وجدنا المكلف لا علم له بذلك الحجز ، حسبما ادعى ، وكنا محرمين فلم نشأ ان نتناقش معه كثيرا فى ذلك وذهبنا مع سعادة السفير الذي لم يكن يخفف عنا ما نلاقيه من هذه الصعوبات الا خلقه وبشره وحفاوته البالغة.

وكان علينا ان نطلب هذه الورقة التى يسمونها ورقة المجاملة ، لتسهيل التنقل فى الطريق بين جدة ومكة وطريق عرفة وغيرها ، فوجدناها عند السيد مستشار السفارة الحاج احمد الشرقاوى ، كما وجدنا عنده رسالة الدعوة الى المأدبة الرسمية التى يقيمها جلالة الملك سعود لوفود الحجاج من جميع البلاد الاسلامية مساء ذلك اليوم بمكة ، ولم يكن من

الممكن حضور هذه المادبة ، وان اكد علينا المستشار في ذلك ، فقد خرجنا من جدة عشية ، بعد ان خفت حرارة الشمس شيئا ما وتعرضنا في الطريق لكثير من التوقفات عند مراكز الشرطة المتعددة ، بحيث قضينا في هذه الرحلة ساعتين كاملتين ، والمسافة لا تتعدى سبعين كيلومترا ، والسبيل معبدة كأحسن مايكون .

ومن غريب ماوقع لنا في احد مراكز الشرطة هذه ان سألنا الشرطي : بكم اكتريتم هذه السيارة ؟ فقلنا له بمائة ريال سعودي ، فانزل السائق وجعل يوبخه ، ثم قال لنا : لا تدفعواله الا 36 ريال بواقع ستة اريلة للنفر يعني 3600 فرنك، وهو مبلغ منخفض جدا لكراء سيارة خاصة بين مدينة وأخرى على المسافة التي ذكرنا، ولو كانت اسعار الحاجيات في الحجاز والكراء والخدمات العامة كلها بهذا التقدير ، وخضعت للرقابة الصارمة ، لصار الحج من اسهل ما يكون على الطبقات الفقيرة والمتوسطة التي لا يستطيعه منها الا من استنفد غاية جهده ، وانفق كل ما عنده ليلبي نداء ربه ويرضي شعوره وضميره ، فمتى ينقضي استغلال الانسان لاخيه الانسان، او يقف عند حد معقول ، ولا سيما المسلم للمسلم ، وخاصة في الامور الدينية .

وهنا نذكر استغلال شركات السفر عندنا والنقل

الجوى والبحرى والبرى، والاثمان الباهظة، التى تتقاضاها من الحجاج، والتلاعب الذى تقوم به البواخر بالخصوص فى تأخير مواعد الرجوع ، لتستغل الوقت فى تنظيم سفريات من جدة لليمن او غيره من الاقطار الاخرى ، على حين ان الحجاج المغاربة ينتظرون الرجوع الى بلادهم بفارغ الصبر، وقد اخذ منهم الضعف والعياء كل مأخذ، فهل آن الاوان لقيام المسؤولين بواجبهم فى هذا الصدد ، وقطع الطريق على كل مستغل مستفيد ، حتى على حساب الشعائر الدينية والمؤمنين القائمين بأدائها فينفرج الخناق على الناس ، ويشعروا بأنهم فى عهد غير العهد البائد الذى لم تكن تستغرب من رجاله هذه الاعمال..؟

وكان وصولنا الى مكة المكرمة عند الغروب ، ولم نعامل السائق طبعا بما طلب الينا شرطى المركز ، كما اننا لم نتردد فيما يجب علينا البدء به ، ولم نقل ما قاله جريج : (رب أمى وصلاتى ؟) بل ذهبنا توا الى البيت الحرام ، وطفنا وسعينا واحللنا من عمرتنا ، ثم جئنا الى رباط المغرب الذى هو محل نزول الوفد ، وهناك التقينا برجال السفارة الذين حدثونا عن المأدبة الملكية وما لقوه فيها من بر واكرام.

ورباط المغرب هذا هو بيت مكون من ثلاث طبقات ويقال انه مشترك بين اقطار افريقيا الشمالية الثلاثة ،

فينزل وفد كل قطر منها في طبقـة منه ، وفي هذا العام كـان نزول الوفد المغربى واعضاء السفارة فى الطبقة الاولى المخصصة للمغرب، مدعاة للتضايق، ذلك ان هذه البنايـة، فضلا عن كونها قديمة وفاقدة لكل اسباب الراحة من حمام ودورة مياه عصرية ومطبخ ، فانها صغيرة ، وليس فى الطبقة التى كنا بها غير غرفة متوسطة بداخلها بيت صغير للنوم، يسع سريرين أثنين لا غير ، ثم بيت سفلى تابع للطبقة الاولى ، واحسن ما فى هذا الرباط هو قربه من الحرم ، وكونه منورا بالكهرباء

وانما نصف المنازل التى حللنا بها هنا وهناك ، لنثير اهتمام حكوماتنا بالامر، فانه من الآكد، بل الواجب، ان تقوم الحكومة المغربية ببناء بيوت مشرفة فى مكة والمدينة ومنى ، ينزل فيها وفد الحج المغربى ، ويستقبل فيها الزوار من مختلف الاقطار الاسلامية ، فانا كنا نخجل من استقبال اية شخصية مهمة فى اماكن نزولنا هذه ، ولا نجرؤ مطلقا على استدعاء احد لتشريفنا فى هذه الاماكن ، ولا ندرى كيف كان يفعل اعضاء الوفود التى سبقتنا .

وقد وجدنا الحجاج المغاربة الذين جأوا بطريق البحر فى مكة ، والتقينا بكثير منهم ، وكلهم يذكرون ان السفر كان مريحا بل ممتعا ، وكان من بينهم وفد وزارة الداخلية

المركب من السادة المختار بن قليلو ، واحمد العبدى ، والخليفة ابن الاحمر ، ومبعوث الاداعة السيد عبد اللطيف الغربى ، ورئيس البعثة الصحية الدكتور مامون الفاسى ، وهم جميعا من الشبان المهذبين ذوى الاخلاق الكريمة ، وقد قضوا معنا اياما لاتنسى .

ومن الغد صلينا الجمعة بالحـرم الشريـف ، وكان مشهدا عظيما جدا ، عظيما بروعته ، وجلاله ، عظيما بمن شهده من هذه الخلائق التى يخطئها العد ، ولا يستوعبهـا الوصف ، عظيما بالخطاب الجليل الذى القاه امام المسجد الحرام منوها بحكمة الحج ، وداعيا المسلمين الى التمسك بعروة الدين الوثقى ، عظيما بهذه الصلاة تجاه الكعبة حيث لا شرق ولا غرب ولا شمال ولا جنوب ، وانما هو كفـاح وعيان لا يحتاج معه الى دليل او برهان على صدق قولـــه عز وجل : (فاينما تولوا فثم وجه الله) . وقد اتيح لنا ان نشاهد هذه الامواج المتلاطمة من البشر، من المكان المشرف الذى هياه لنا السيد احمد الزمزمى ، وهو ملاصق لبيته ، فرشه بالبسط ، وأدلى لنا من نافدة بيته مروحة كهربائية ، وكان يتعاهدنا بماءزمزم فيآنية نظيفة، ولم يكن معنافضلاعن الشخصيا المغربية التى ذكرناها من قبل ، الا أخ هندى من اعيان بلاده ، فكنا موضع غبطة من جميع الذين مروا امامنا،

وكم كان بعض الذين لا يجدون اين يجلسون ، يهمون بالايواء الينا فيردهم الخدم الذين كلفهم السيد الزمزمى بنا، ونخجل ونستغفر الله من هذا التمييز الذى لم تكن لنا فيه يد، ولم يكن منه بد، خصوصا وأن المحل لا يتسع لاكثر ممن هم فيه.

وكنت أقرأ عند الفقهاء ، جواز السجود عند كثرة المصلين كيفما تأتى ، ولو ان يسجد بعضهم على ظهر بعض، فكنت استبعد ذلك حتى رايته هنا ، وكم كان عجبى شديدا، حينما سلمنا من الصلاة ، ونظرت فرأيت الناس يطوفون بالكعبة لا ادرى اصلوا معنا ام هم يطوفون من قبل..؟

وخرجنا يوم السبت ، وكان هو يوم التروية ، الى منى محرمين بالحج، فمكثنا بها حتى صلينا الصبح من الغد الذى هو يوم عرفة، وكان نزولنا فى البيت الذى اكتريناه بواسطة المطوف ومعرفة السفارة ، وهو بيت قديم كان ملكا للامير منصور آل سعود، ولكنه الآن متهدم وأرضه تراب لا بلاط لها ، ونوافذه وابوابه لا مصاريع لها ، اولها مصاريع مكسرة، وبالجملة فهو عبارة عن هيكل بناية قديمة ومع ذلك فقد كان ثمن كرائه مليونا وخمسين الف فرنك لثلاثة ايام او اربعة هى ايام منى، فانظر كيف يرتفع مستوى الحياة فى الحجاز ايام الحج ،ومن هنا قلنا لابد من بناء بيت

حرا ، لانه موسم التمر الذى يدرك فيه ويتم نضجه .

ولقينا بمنى كذلك الاستاذ احمد توفيــق المدنـى ورفاقا له من جبهة التحرير الجزائرية وكان يحمل الى رسالة من فضيلة الشيخ محمد البشير الابراهيمى رئيس جمعية علماء الجزائر فسلمها الى ، والاستاذ عبد الحكيم عابدين من الاخوان المسلمين ، وحجاجا مغاربة كثيريـن رجالا ونساءا كنا نتفقدهم فى أماكن نزولهم وننظر هل بهم من حاجــــة .. ؟

وذهبنا الى عرفة ضحى يومها، وهو يوم الاحد 9 يوليوز وكان السير منظما كاحسن ما يكون التنظيـم مع كثـرة الذاهبين مشاة وركبانا ، وأرسال السيارات لاحد لها ، والطريق معبد كاحسن الطرق فى المغرب وشرطة المرور قائمة بواجبها فى انتباه عظيم ، ومما تجدر الاشارة اليه ان سيارة كانت أمامنا سنحت لها فرصة للسبـق فـاراد سائقها ان يغتنمها ، فما كان من الشرطـى اليقـظ الا ان استوقفه وامره بالنزول ، ثم علاه بالسوط وحكم عليـه بالوقوف مدة بحيث بقى متأخرا . ولم نقض فى الطريق الى عرفات الا نصف ساعة ، فى حين اننا بعد الوصول بقينا ساعة ننتظر العثور على مكان تخييمنا .

وكان المطوف قد هيألنا كل ما يلزم ، واحتفل فى

مغربى مستوف لاسباب الراحة فى كل من منى ومكة والمدينة، ينزله الوفد ،فانه فضلا عما فى ذلك من محافظة على سمعة الوطن وصحة المواطنين ، فيه ايضا اقتصاد كبير .

ومنى قرية ناشئة اعنى من ناحية العمارة ، فقد دب اليها الاصلاح والبناء ، وطرقها نظيفة وحسنة ، وبها فندق جميل احتكره هذه السنة الحجاج الباكستانيون ، وبهـا بنايـة للمؤتمر الاسلامى العام من افخم ما يكون ولم ينعقد هذه السنة ، وعلى ذكر هذا المؤتمر فقد لقينا صديقنا الاستاذ سعيد رمضان الداعية الاسلامى المعروف ، وقد دعا الى مؤتمر انعقد بمكة بعد الفراغ من اعمال الحج ، وكنا حينئـذ بجدة فلم نستطيع حضوره جميعا وحضر الاخ الاستاذ ابراهيم الكتانى .

ومسجد الخيف المشهور بمنى ، مسجد قديم ولـه صحن كبير مكشوف ، اما بلاطاته المسقفة فيستحيل وجود محل فيها لداخل بقصد الصلاة مثلنا ، فقد احتله فقـراء الحجاج من كل قطر وجنس ، معهم أثقالهم وادواتهم وصار المواغلون فيهم من غير طبقتهم متطفلين غير مرغوب فيهم .

والجو بمنى أشد حرارة من مكة . على اننا وجدنا مكة الطف جوا حتى من المدينة خلافـا للمعهـود فيهـا ، وقيل لنا ان الوقت الذى كنا فيه بالمدينة هو اشد اوقاتها

كيف لم ير حضرة المراقب المجلات المعلقة قبالة المسجد النبوى ، وعلى غلافاتها صور الراقصات الخليعة ، وسمع صوت المنشدين للامداح النبوية هنا..؟

وبهذه المناسبة اذكر ، ولو للفكاهة ، ان احد الاصدقاء الكتبيين ، اخذ منى ذات مرة نسخا من (مورد الشارعين) شرح (المرشد المعين) لوالدى رحمه الله ، وشرح الشمقمقية من تأليفى ثم ما لبث ان رجع الى واستقالنى من شرح المرشد قائلا : انه يحرم بيعه لما فيه من تقرير للعقائد على مذهب الاشاعرة وهو كفر. فقلت له : لعل فلانا كان عندك اليوم ورأى الكتاب ؟ فقال : نعم.

وفلان هذا الذى ذكرته له ، هو احد اصدقائنا من ائمة العلم والدين السلفيين وكان له على صديقنا الكتبى المذكور تأثير وأى تأثير فى انقاذه مما كان عليه من الافكار الخرافية، التى لم نستطع نحن ان نحوله عنها مدى السنين الطويلة، لصداقتنا المبتدئة بزمن الدراسة.

فقلت لهذا الصديق : كيف يكون الكتاب الذى فيه هذا البيت.

وجوده له دليل قاطع   حاجة كل محدث للصانع

الخ حرام البيع والكتاب الذى فيه هذا البيت :

تمنع مس جسمها لثوبها   ثلاثة مثل الاثافى فى الرقى

ذلك غاية الاحتفال، فنصب لنا سرادقا فخما وفرشه بأحسن مالديه من الفرش ، وأعد لنا من الطعام والماء والثلج فوق الكفاية ، وكان اليوم ظليلا رحمة من الله بوفوده اللاجئين اليه الطامعين فى مغفرته ، فلاتسل عن روحانية ذلك الموقف والانس والاشراق والطمانينة التى غمرت النفوس واثلجت الصدور...

وآوى الينا بعض الاخوان الذين زاد بهم سرورنا ، ومنهم الاستاذ سيدى التهامى الوزانى الذى لقيناه اول مرة بالمدينة المنورة ، وكذلك جوق المادحين الذى صحب حجاج الباخرة ، فامتعنا بانشاد بعض الامداح النبوية . ولا اكتم القراء اننى منذ نشأت وأنا اتمنى حجة يصحبنى فيها هؤلاء المنشدون ، للتملى بالانشادات الدينية ، فهاهي ذى امنيتى تتحقق بفضل محمد الخامس ادام الله وجوده .

ومن الغريب اننا في حالة الانشاد هذه ، استلفتنا انظار الناس ، وجاء بعض المراقبين من جمعية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ليقوم بواجبه ، ولكنه لما سأل عن هذا السرادق ، وراى الراية المغربية ترفرف فوقه وقيل له انه (امير) الحاج المغربى ، رجع عوده على بدئه ولم يقل لنا شئا ، فهل اطمأن الينا اننا لا نفعل منكرا واحترم الصفة الرسمية للوفد ؟ وعلق بعض الاخوان قائلا :

الارض فى هذا الصعيد المبارك ، وكفانا ما سمعناه من الثناء والشكر فذلك اعظم الجزاء.

وانما ذكرت هذه الحادثة تنبيها الى ما يتعرض له الحاج من الخطر حينما يتيه فى هذا الخضم الهائل من البشر، فان الكثرة الكاثرة من الذين اصيبوا بضربة الشمس، انما وقع لهم مثل ما وقع لهذا الحاج السودانى واذا كان اصحابنا انما اهتدوا لموضع التخييم الذى يعرفونه كل المعرفة بعد ساعة من الزمن كما اشرنا لذلك فكيف يهتدى الغريب اذا ضل عن مكانه وسط مآت الالوف التى ترتدى ثوبا مماثلا ، وتأوى الى خيم مماثله ؟ على ان الحكومة قد اقامت مراكز للارشاد ، وقسمت مكان الوقوف من الجبل الى مناطق ، واتخذت وسائل كثيرة لتيسير الاتصال وتوفير اسبـاب الراحة ، ومن اعظمها وجود الماء بكثرة لا مزيد عليها فى كل منطقة ، ولولا ذلك لما كان الموسم سالما بالنسبة لقلة عدد الاصابات ، خصوصا وقد كان عدد الحجاج فى هذا العام حسب الاحصاء الرسمى مليونا وثلاثة آلاف وبضع مـآت ، مما نظن انه لم يتقدم له نظير منذ فرض الحج فى الاسلام، فقد كان اقصى ما يصل اليه عدد الحجاج ستمائة الف نسمة وجاء فى بعض الاحاديث ان الله عز وجل يتكفل باكمال هذا العدد من الملائكة ان لم يكمل من البشر .

الخ حلاله . فلم يقبل نقاشا فى الموضوع ، كما كان قبل لا يقبل منا نقاشا فيما كان عليه من طريق، وأنا لا ادافع هنا عن عقيدة الاشعرية، فعقيدتى والحمد لله سلفية خالصة ولكنى انكر هذا الغلو ، (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات) .

ولجأ الينا وسط النهار رجل مسن ، عليه سيما الوجاهة ولونه يضرب الى السواد ، فطلب منا أن يستريح عندنا قليلا . وكان اثر الاجهاد والتعب باديا عليه ، فبقى مدة لا يستطيع الكلام ولا يتنفس الا بصعوبة ، فباشرناه وسقيناه واسعفناه بالثلج على راسه حتى استرجع قوته ، واخبرنا انه من تجار السودان . وانه ضل على رفقته فاصابه ما اصابه اثناء البحث عنها ، ولما راى هذا السرادق العظيم ، ايقن انه لاناس افاضل ، فلجأ اليهم وقد عزمناه ، ولم نتركه يذهب الا فى اواخر النهار وبعد ان حضر بعض رفاقه، ولما اراد الانصراف دفع الينا بعض الاوراق المالية، جزاء ضيافتنا له ، فاخبرناه اننا لم نفعل معه الا ما توجبه الاخوة الاسلامية والمروءة ، واننا مسرورون بهذه الفرصة التى أتاحت لنا التعرف باخ سودانى فاضل مثله وخدمته ، وهذه احدى فوائد الحج ، واجتماع المسلمين من شتى اقطار

وقيل لنا ان السبب فى كثرة الحجاج هذا العام . ان الملك سعود اذن لكافة قبائل العرب من نجد بالحج ، وكان قبل لايؤذن لهم الا فى نطاق محدود ، وربما كان ذلك لما شاع من المخاوف حول طريق الحج البحرية ، بسبب حوادث خليج العقبة، فغلب الظن، ان الحجاج من الخارج سيكونون قلة فى هذا العام وعليه فالكثرة الكاثرة من هذا العدد كانت من الداخل. وهو شىء ملحوظ فى السحن والهندام والسلوك

. وقبل الغروب اجتمع الينا كثير من الحجاج المغاربة ، وقضينا ساعة الوقوف فى التلاوة والذكر والدعاء وكان الدعاء لجلالة الملك وللمجاهدين الجزائريين ولشعوب الاسلام كافة من اكثر ما انطلقت به الا لسنة ، واحر ما تدفقت به القلوب ، تقبله الله ، وكانت ساعة خالدة ليست من هذا العالم الفانى فى شىء ، وانما هى سمو بالروح وبالنفس وبجميع المشاعر الى الملاالا على ، ونسيان للذات وطهرة من جميع الرعونات ، ومقام الاحسان الاول الذى يمن الله به على عباده المتقين، وهو الذى قال فيه النبى (ص) لجبريل (ان تعبد الله كانك تراه) فلا حرمنا الله منه دائما .

ودفعنا بعد ذلك الى المزدلفة ، فقل فى هذه البحار المتدفقة ، ولا إقول الامواج المصطفقة ، من المؤمنين المخلصين ، الذين جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمة الله

ويطلبون ثوابه، فكنت ارمي ببصري ذات اليميـن وذات الشمال ، فلا ينفذ البصر الى آخر الكتل البشرية التى هى اشبه بغابات من الشجر تتحرك ، وهذا زيادة على قوافل السيارات التى تزاحمت عرضا ما وسعها التزاحم ، وأما طو لا فلا يدرك لها البصراولا ولا آخرا ، على ان هـذا مـا هو الا طريق واحد من عدة طرق فتحت هذا العام، كما قيل لنا الى عرفات.. وصلينا المغرب والعشاء بالمزدلفـة، والتقطنـا حصى الرجم، وكان منظر المشعر الحرام وقد انير بالمصابيح الكهربائية العديدة من اجمل المناظر.

وفى صباح يوم العيد ، قمنا بالاعمال التى يطلب منا القيام بها فى منى ، ثم توجهنا الى مكة فطفنا طواف الافاضة، وسعينا ، واحللنا من حجنا الاحلال الاول ، ثم عدنا للاقامة بمنى ورمى الجمرات .

ورمى الجمرات بمنى مشكلة من المشاكل ، مع هذا الازدحام الشديد الذى لم تشهد منى مثله قط ، ومع الحر الشديد الذى لا يتحمله مثلنا من سكان المناطق الباردة او المعتدلة ، ومع ان وقته المفضل هو الزوال قبل صلاة الظهر، فكيف يتاتى فعله على الكيفية المطلوبة من الوقوف امـام الجمرة الاولى والثانية والدعاء عندهما الخ. . . اللهم ان احدا لم يكن يستطيع انيقف ولو رمشة عين عند احداهما ،

ولم يكن له أن يرمى الا بمشقة عظيمة تكاد تزهق فيها النفس... والعجيب ان الرمى يبدأ بأثر صلاة الصبح خلافا للوقت المقرر فى ذلك، ويستمر الى الغروب، ولم ندر هنالك مستند الذين يرمون صباحا، فقلنا انهم ربما قاسوا الرمى ايام التشريق على الرمى يوم الاضحى الذى رخص فيه النبى (ص) للنساء فجرا وان كان وقته المفضل هو الضحى، وقلنا انهم ربما ترخصوا فى تقديمه استنادا لحديث (فما سئل النبى (ص) يومئذ عن شىء قدم او اخر الا قال افعل ولا حرج) ولكن هذا فى يوم النحر. والتخصيص واضح بقوله (يومئذ) واستبعدنا ان تكون هذه العوالم كلها على ضلال، وهممنا ان نقتدى بهم، ثم عرضت لنا الآية (ولا تقف ما ليس لك به علم) ولم تكن معنا كتب اصول، فلزمنا ما نعرف واعرضنا عما لا نعرف .

ثم بعد الرجوع والمراجعة ، وجدنا ان القول بجواز ذلك ، اى الرمى ايام الشريق صباحا منقول عن عطاء وطاووس ولا مستند لهما ، وان الحنفية رخصوا فيه يوم النفر فقط .

وخطر لى ان الناس ربما كانوا يتطوعون بذلك ، ولكن هل يجوز التطوع بما لم يسنه الشارع ؟

وذهبنا فى صباح اليوم الاول من ايام التشريق اعني يوم ثانى العيد لتهنئة جلالة الملك سعود بعيد الاضحى فى قصره بمنى . . . واكترينا سيارة لا تحمل علامة كالتي كانت

معنا بمائة ريال سعودى اعنى بما يساوى 10000 فرنك لمدة لاتتجاوز ساعة من الزمن ، فليت شعرى لوعلم شرطى المركز بطريق جدة ما ذا كان يفعل بصاحبها ؟ .

ولما وصلنا الى القصر ، اخذنا الى سرادق عظيم كان منصوبا بالفناء ، وفيه وفود من مختلف البلاد تنتظر خروج المهنئين الذين سبقونا، فانتظرنا معهم، وكان هناك رجل تظهر عليه سيما العلم وبيده اوراق لم يلبث ان نطق بكلمات كالخطاب ، نوه فيها بالملك سعود حامى الحرمين الشريفين ومحيى السنة والمحافظ عليها حتى فى لبس العقال وتوفير شعر الدقن ، فلم اشعر ان قلت له ان النبى (ص) لم يلبس العقال ، وليس هذا من امور السنة ، وعقب الشيخ عبد الحكيم عابدين على قولى لم يلبس العقال بقوله : (ولا المقصب) وهو المذهب ، يعنى تلك الجبب ذات الخطوط المذهبة التى يلبسها الوجهاء فى الحجاز .

واذن لنا بالدخول واستقبلنا جلالته بغاية الحفاوة واجلسنا بجانبيه وبقية الوفود فيما يلينا ، والقى الاستاذ سعيد رمضان خطابا نوه فيه بالملك سعود وجهوده فى نصرة الاسلام، واستنجد به لانقاذ فلسطين واغاثة لاجئيها المنكوبين . ثم القى شاعر من اندونيسيا اسمه السيد عبد الله حنون بالحاء المهملة، قصيدة بليغة فى مدح جلالته ،

وقدمت القهوة والمشروبات المبردة ، وانصرفت الوفود لتتقدم وفود غيرها .

وهناك قدمنا هدية جلالة ملكنا المحبوب لاخيه الملك سعود ، وهى عبارة عن زربية عظيمة بديعة الصنع من شغل المغرب ، وكنا فى المقابلة الاولى مازلنا لم نتوصل بها ، لانها لضخامتها لم نصحبها معنا فى الطائرة ، وانما حملتها باخرة الحجاج فوصلت بعد وصولنا .

وفى المساء ذهبت انا والسيد السفير الى تهنئة وزير المالية السيد محمد سرور الصبان ، وقدمت له صلة جلالة الملك المعهودة للحكومة السعودية ، وكان جالسا بفناء بيته المجاور لمسجد الخيف ، يتقبل التهانى ، فوجدنا هناك شاعرا من الاردن ، القى قصيدة فى مدحه ، دارت كلها حول (المالية) ووزيرها .

واقامت السفارة بعد الغروب حفلة شائقة بمناسبة تنصيب سمو ولى العهد المعظم الامير مولاى الحسن شارك فيها المغاربة وحضرها رؤساء الوفود واعيان الحجاج ، وتوجت فى الاخير بحضور سمو الامير محمد بن الملك سعود ، ولم يكن يدور الحديث اثناءها بيننا وبين الزوار الا عن المغرب وعظمة جهاده وتضحية جلالة الملك وبطولة ولى العهد ، مما كان يثير اعجاب الجميع ويرفع راس المغرب

عاليا بين بلاد الشرق والغرب ، ويجعله مفخرة العرب المسلمين.

وتعجلنا في يومين ، فاصبحنا يوم الخميس ثالث عشر ذى الحجة مولين وجهنا شطر مكة ، حيث انهينا جميع العلاقات ، وطفنا طواف الوداع ولم نبت الا بجدة ، في الفندق الجديد الذى حاول المكلف به ان يراوغ مرة اخرى في عدم العلم بالغرف المحجوزة لنا ، فبعثنا الى المكلف الذى كان موجودا حال الحجز فاعترف وحلت المشكلة ، ومن الواجب ان تقول ان هؤلاء المكلفين ليسوا بحجازيين ، وانما هم أغراب ، وكذلك جميع الخدم في الفندق وفي غيره ، ولذلك لا يستغرب منهم هذا التبلد . . . على انهم في الخدمة والخضوع جاوزوا حد المعهود ، أو ذلك هو المعهود من جنسهم .

جلسنا في جدة ننتظر جواب الملك سعود عن رسالة جلالة الملك ، وفي اليوم الثاني مساء وصلنا هذا الجواب مع الهدية الملكية ، ولذلك اخذنا اهبتنا للسفر، فوجدنا لحسن الحظ ، ان الطائرة الى بيروت ستقوم عصر اليوم الثالث اى يوم 14 يوليوز 1957م. 13 ذى الحجة 1376هـ. وفيها اماكن فارغة لنا جميعا ، فقطعنا التذاكر ، واصبحنا في ذلك اليوم نواجه مشكلة صرف العملة السعودية التي بقيت

بايدينا ، وهى مبلغ وافر ، وكنا نظنها من السهولة بمكان ، فاذا بالامر على خلاف ذلك .

ذهبنا الى البنك ، فاخبرنا المكلف انه لا يمكن ان يصرف الا باذن حكومى ، وسألنا عن الصرف فى السوق الحرة فاذا به 60 فرنكا للريال السعودى مع العلم بان البنك المخزنى المغربى صرفه لنا بسوم 93 فرنكا ، فالخسارة اذن 33 فرنكا فى الريال ، وربما كانت اكثر ، اذا علم الصيارفة بالمبلغ الكبير الذى عندنا .

ولجأنا الى مكتب النقد ، وعرضنا عليه المسألة . فاظهر استعداده لمساعدتنا ، حيث علم اننا وفد رسمى ، ولكن بشرط احضار شهادة من البنك الذى صرفنا عنده المبالغ المالية الخاصة والوقفية التى احضرناها معنا ، فرجعنا الى البنك واخذنا منه الشهادة المذكورة . وادلينا بها لدى مدير مكتب النقد، فأمر باعطائنا تصريحا الى البنك بصرف المبلغ الفائض لدينا بالفرنك المغربى لا غير، بالسعر الرسمى الذى هو 88 فرنكا للريال .

وهكذا رجعنا الى البنك مرة ثالثة ، ووجدت المدير بالباب منصرفا الى حيث لا يعود يومه ذلك . فاظهرت له التصريح فامضاه ودخلنا عند المكلف ، وهو مغربى الاصل

من الاسرة الناصرية ، فاعد لنا حوالتين احدهما بالمبالغ المالية الخاصة بنا ، والاخرى بما يخص الحكومة . وكانت الصعوبة عظيمة فى عد الاوراق المالية السعوديـة ، وقد سبق ان قلت ان اكبر ورقة فيها هى التى من فئة عشرة اريلة ، فاجتمع عليها ثلاثة موظفين حتى اتوا عليها عدا وما كادت تنتهى هذه الاعمال حتى جاء وقت السفر فانصرفنا من البنك راسا الى المطار .

ولا بد أن أشير هنا الى ان هذا البنك هو بنك الهند الصينى، فهو اجنبى عن البلاد ومع ذلك فان جميع موظفيه عرب، سمر الالوان ، يرتدون القميص ويلبسون الطاقية ، ما عدا واحدا رايته بالطابق العلوى لما قابلت المديـر ، وهم يقومـون بجميع اشغال البنك على اتم الوجوه ، وبالعربية ، بـل وبالارقام الهندية ايضا ، فليت شعرى كيف يعمل موظفـو الادارة المركزية للبنك في مراقبة حساب هذا الفـــــرع وتصديق اشغاله ..؟

فهذا هو الاستقلال الذى نريده لبلادنا ، وعدم التبعية التى نتغزل بهـا .

ومثل هذا يقال فى جميع المصالح الحكومية بالبلاد العربية السعودية ، فمثلا الجامعة السعودية التى وجدناها حديث جميع الاندية هناك ، وفى البلاد العربية التى زرناها

من بعد، وقد فتحت فى اول هذه السنة الدراسية الحالية، لم يستجلب لها اساتذة اجانب غير عرب ، فيعمل من اول يوم على تعجيم التعليم العالى . ولا القيت مقاليدها بين ايدى عمداء اجانب بل جعل على رأسها رجل عالم مؤمن يحظى بثقة العالم الاسلامى والعربى معا، وهو الدكتور عبد الوهاب عزام... وهكذا يلحظ الفرق بيننا وبينهم واضحا فى الاتجاه والشعور ، مع اننا ربما كنا اغنى بالكفاءات التى لا تحوجنا - على الاقل - فى اعمال الادارة والتسيير الى مديرين اجانب لمؤسسات يعتمد عليها فى بناء كياننا والتمهيد لمستقبلنا .

وقد اوشكت ان اضع القلم ، ولم اقل شيأ عن الحالة الاجتماعية فى الحجاز عموما ، على ما شاهدت فى هذه الايام القليلة، والتى تغلب عليها صفة الموسمية، فلا تظهر ملامح البلاد الحقيقية من خلال تلك الصفة. وعلى كل حال فقد اشرنا الى الحركة العمرانية القائمة على قدم وساق ، واشرنا الى الاصلاح الذى ادخل على المسجد النبوى ، ونشير الى ان اصلاحا آخر نظيره يباشر بالمسجد الحرام وقد تم منه تسقيف المسعى ، فاصبح مضللا يحمى الساعين بين الصفا والمروة من وهج الشمس وحمارة القيظ ، وجعل فيه حاجز بين طريق الذهاب والاياب ، يحول دون تصادم الساعين ، وبحسب مارأينا فان هناك اروقة عظيمة ما يزال

العمل فيها قائما ، ستضاف الى المسجد ويصير المسعى حينئذ داخل اسوار الحرم .

وكما اضيفت الى عين زبيدة بمكة، العين العزيزية وبذلك غزرت المياه فى الحرم المكى الشريف كذلك فان اعمالا عظيمة تجرى بخارج المدينة ، لاضافة عين جديدة الى العين الزرقاء ، قصد توفير المياه بالحرم المدنى ايضا .

والنهضة العلمية بالحجاز على حسب ما علمنا ، تتقدم كل يوم ، ولا سيما فى عهد الملك سعود فقد اسست فى السنة الاخيرة مدارس ثانوية كثيرة فى كل مكان ، وهاهى الجامعة السعودية قد فتحت ابوابها فى الرياض عاصمة المملكة السعودية . . وهناك معاهد ابحاث مختلفة ، سمعنا عنها ، ومدارس للقضاء الشرعى بمكة وغيرها .

والصحافة راقية هناك ، ما بين جرائد ومجلات ، وما راينا منها لا يقل عن نظيره فى بقية البلاد العربية ، والسينما لا وجود لها ، على اننا سمعنا ان دور الكبراء اكثرها يتوفر على شاشة خاصة.

والمراة ماتزال محتجبة حجابا شديدا ، وتعليم البنات مايزال غير مسموح به رسميا ، وسمعنا انتقادات كثيرة على هذه الجمعية المسماة بجمعية الامر بالمعروف والنهى عن

المنكر... على اننا لم نسمع انتقادات سياسية، ولا شعرنا بتذمر من رجال الحكم ، كما يوجد فى بعض البلاد العربية الاخرى .

رسالة اعتماد الوفد

بعد الديباجة :

الى حضرة صاحب الجلالة اخينا سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ،

تحية اخوية وسلاما كريما ،

وبعد فان مما نحمد له المولى عز وجل جزيل الحمد ، ان شرع فريضة الحج الى بيته الحرام تثبيتا لدعائم الاخوة الاسلامية بين المسلمين كافة وترغيبا لهم في توثيق عراهـا والاخذ باسبابها ، اذ على ذلك الصعيد المقدس الطاهر دعانا ديننا الحنيف لان نجدد العهد كل سنة على الاعتصام بحبل التحالف والاتحاد ونؤكد ما يجب أن يسود بيننا من التضامن والوداد أن غاية الاسلام السامية ان يكون المسلمون اخوانا وعلى الخير جنودا وأعوانا ، كلمتهم واحدة وهدفهم واحد ، وذلك مما يقرن مساعيهم بالنجاح ، ويلهمهم فى أعمالهم الخير والفلاح ، ويحقق لهم العز الذى به يحلمون ، ويبوئهم المكانة التى هم بها جديرون . وليس بخاف ان الاسـلام يخوض اليوم معركة حاسمة فى حياته ولن يكـون النصر حليفه الا اذا ارتكزت العلاقات بين المسلمين على أساس اعتبار المصالح العليا للوطن الاسلامى كله ، وقامت روابطهم

على مبدأ خدمة تلك المصالح بالذات ، وعلى ضوء هذه المبادىء قامت العلاقات بين بلدينا وفى نطاقها بدأ عملنا المشترك من اجل سعادة العروبة والاسلام وازدهارهما وتحقق ما أملناه من زيارة جلالتكم لمملكتنا الشريفة ، تلك الزيارة التى يسعدنا ان نؤكد هنا مرة اخرى ما خلفته فى نفسنا وشعبنا من ذكريات عزيزة لا سبيل للزمن مهما تطاول ان يعفى عليها، بل ان اثرها سيظل مشهودا في مجال العلاقات بين بلدينا الموصولة بين شعبينا ، لما كان لها من غاياته مثلى وأهداف انسانية عليا ، وقد كان من نتائجها ان تم ربط العلاقات الديبلوماسية بين بلدينا الشقيقين وأقيمت بالحجاز سفارة مغربية تمثلنا لدى جلالتكم ، وأملنا ان تسمح الظروف بزيارتنا لاخوتكم والاستمتاع برؤية تلكم البقاع المقدسة تتميما لما بدأناه واستمرارا فى دعم ما اسسناه .

هذا وسعيا منا فى اغتنام فرصة الحج المباركة، وادراك فوائدها الجليلة ومقاصدها النبيلة ورغبة منا فى تجديد الصلة بتلك المقامات النبوية وبحارسها الامين ، جريا على مألوف عادتنا ، ها نحن نوجه اليكم الوفد الذى يمثلنا لدى جلالتكم ، ويتركب من السادة الفقيه العلامة السيد عبد الله كنون والشريف الاستاذ السيد ابى بكر القادرى والاديب السيد الحاج محمد بنونة والعالم المؤرخ السيد ابراهيم الكتانى والعالم الاستاذ السيد محمد بن الهادى المنونى والوجيه السيد محمد بن عبد الرحمن الشنكيطى

وقد اصحبناهم مع تحياتنا الودية الى جلالتكم بتحفة اخوية من صنع مغربى راجين منكم قبولها كما اصحبناهم بهدية نقدية قدرها ستة ملايين من الفرنكات برسم المال المخصص للحرمين ، وعهدنا اليه بتوزيع ما بعثناه لفقراء البلديـن ولنا اليقين ان وفدنا سيكون مشمولا مدة اقامتـه هنـاك بعنايتكم السامية ، ملحوظا بعين رعايتكم العالية ، وان كافة الحجاج المغاربة سيجدون من عطفكم واهتمامكم ما يضمن لهم اداء فريضة الحج على أحسن الاحوال واكملها ، وفـي اسعد الظروف وأكملها.

جعلنا الله واياكم ممن طهر ضميره وصفا ، قبل سعيه الى الصفا ، وسعد بالوقوف بعرفة ، مفعما قلبه ايمانا ومعرفة واعاننا واياكم على خدمـة الحنيفية السـمـحاء والنهوض باوطاننا الى اوج العزة القعساء ، وألهم جميع رؤساء العرب والمسلمين ، طريق الحق والهدى المبين وجمع كلمتهم على خير شعوبهم وسعادتها ، ورقيها ورفاهيتها ، وايد اخواننا المناضلين حتى يتوج نضالهم بالفوز الكامل والنصر المبين وأقر عين النازحين عن ديارهم بالاياب الى حماها ، والعودة الى كنفها وذراها ، آمنين مطمئنين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وحرر بمدينة مراكش فى 20 ذى القعدة الحرام عام 1376 الموافق 19 يونيه سنة 1957 .

المؤتمر الاسلامي العام بمكة

حديث عنه مع الاستاذ عبد الله كنون

(جريدة الشعب التى تصدر بالرباط العدد 773 بتاريخ
28 صفر 1385 ـ 28 يونيه 1965)

اتصل مندوبنا فى طنجة بفضيلة الـكـاتب الكبيـر والاستاذ الجليل سيدى عبد الله كنون ، عضو الوفد المغربى للحج ، ورئيس وفد الحكومة المغربية فى المؤتمر الاسلامى العام المنعقد بمكة المكرمة في اعقاب موسم الحج ، فسألـــه عن انطباعاته عن موسم الحج وعن أعمال المؤتمر ، وهذا هو الحديث الذى أجراه مندوبنا معه : فنلفت الانظار الـــى الاجوبة القيمة والدقيقة التى تفضل بها فضيلة الاستاذ كنون مشكورا :

بعد ان حييته باسم جريدة (الشعب) وهنأته بسلامـة العودة من الديار المقدسة واداء فريضة الحج ، والعودة من رحلته العلمية التى تلت ذلك .

قلت له : ما هى انطباعاتكم عن موسم الحج ، وكيف رأيتم الحجاز ؟

فأجاب : لقد كان موسم الحج هذه السنة رائعا لامتيازه بشيئين مهمين ، أولهما : الجو المعتدل نسبيا مما كان له اثره فى قلة الامراض والوفيات ، وساعد على نشاط الحجاج وادائهم للشعائر الدينية بدون مشقة ولا تعب ، وثانيهما : مشاركة اكبر عدد من قادة الفكر ودعاة الاصلاح فى العالم الاسلامى ، لدعوتهم من قبل (رابطة العالم الاسلامى) لحضور مؤتمرها الثانى العام .

أما الحجاز فان أعظم انطباعاتى عنه هو هذا النمو والازدهار الذى يتمثل فى انتشار العمران بكيفية مدهشة وتطور حالة السكان من حيث تحسن مستوى المعيشة والاخذ باسباب الحضارة المادية مع احتفاظهم بمقوماتهم المعنوية كشعب اسلامى عريق ، ولقد دهشت للخطوات التى قطعتها البلاد المقدسة فى هذا السبيل بين زيارتي الاولى وزيارتى الثانية هذه ، وهى مدة لا تتجاوز بضع سنوات ولا اذكر دليلا على ذلك الا مثالا واحدا هو انتشار الفنادق من مختلف الدرجات في كل مكان من جدة والمدينة المنورة ومكة ومنى، وهذا امر لا يقدر قدره الا من كتب عليه ان ينزل فى بيت منبيوت هذ المطوف اوذاك، فيكون رابع اربعة اوخامسخمسة (وربما اكثر) فى غرفة واحدة عادمة لاسباب الراحة ومع ذلك فهى المنزل الوحيد الذى كان يجده أمامه .

والمهم هو ان نعرف ان نهضة الحجاز عمل لا كلام ، وانها تسير فى ظل الاسلام، من غير تبجح ولا ادعاء، فهناك لا تسمع ان الاشتراكيــة او غيرها من النظــم والمــذاهــب المستوردة هى العلاج الوحيد لتخلف الشعب، ولا يحدثك مسؤول بعربية تتخللها كلمات او جمل من لغة اجنبية . فأحرى أن يعتذر اليك بانه لا يقدر أن يقدم عرضه بالعربية، وهناك ، وهناك ، الخ.

وقلت للاستاذ عبد الله كنون : وماذا عن المؤتمر ؟

فاجاب :

لقد كان الداعى الى هذا المؤتمر هى (رابطة العالم الاسلامى) التى يوجد مقرها بمكة المكرمة ، وكانت هذه هى دورته الثانية وهو يسمى (المؤتمر الاسلامى العام). وقد انعقد بمقر الرابطة، من يوم السبت 17 ابريل 1965 الموافق 15 ذى الحجة 1384 الى يوم السبت 24 ابريل و 21 ذى الحجة، وكانت جلسته الافتتاحية تحت رئاسة سماحة مفتى المملكة العربية السعودية ورئيس مجلس الرابطة الشيخ محمد بن ابراهيم ، وخطب فيها جلالة الملك فيصل آل سعــود ، وسماحة المفتى وسعادة الامين العام للرابطة الشيخ محمد سرور الصبان ، وسعادة السيد احمد وبيلو رئيس وزراء نجيريا الشمالية باسم وفود المؤتمر ، ومما تميزت به خطبة

الملك فيصل الدعوة الى عقد مؤتمر قمة اسلامى للنظر فى مشاكل البلاد الاسلامية وتمتين الروابط التى تجعل من الشعوب المسلمة امة واحدة للدفاع عن كيانها وحماية مصالحها ، وهو الامر الذى اغتبطت به كل الوفود المشاركة فى المؤتمر ، وعبرت عن املها القوى فى عقد هذا المؤتمر فى القريب العاجل ، وانا طت بجلالته امر الاتصال بملوك المسلمين ورؤسائهم ، للعمل على اخراج فكرته من حيز النظر الى حيز التنفيذ .

وكانت الجلسة الثانية يوم الاحد الموالى ، وفيها اعتذر سماحة المفتى عن رياسته للمؤتمر بحكم عذره الواضح (سماحته كفيف) فأسندت هذه الرياسة الى سمو الامير فهد بن عبد العزيز آل سعود وزير الداخلية فى الحكومة السعودية ، واختار هو لمساعدته اربعة نواب من اربعة اقطار هى المغرب وسوريا وباكستان والسنغال، وكان الاستاذ علال الفاسى من بينهم ، ثم وقع تشكيل لجان العمل فى المؤتمر وكانت خمس لجان وهى :

1 ـ لجنة الدعوة الاسلامية .

2 ـ لجنة التضامن الاسلامى .

3 ـ اللجنة الاجتماعية والاقتصادية .

4 ـ اللجنة الثقافية .

5 ـ لجنة القضايا الاسلامية وتقرير المصير .

والقيت في هذه الجلسة بعض الكلمات اهمها بيان الامين العام عن اهداف الرابطة ومنجزاتها .

وكان المقرر ان تلقى فيها كلمات الوفود ، لكن ظهور رئيس وفد الحبشة على المنصة ـ وهو كما قيل عنه رئيس قلم المخابرات في حكومته ـ اثار ضجة من وفود بقية البلاد الافريقية ولا سيما الصومال ، وتضامن اكثر الوفود مع وفد الصومال في عدم قبول وفد الحبشة المعروفة باضطهادها للمسلمين بين وفود المؤتمر . وتدخل الامير فهد وغيره فلم يجد ذلك شيئا . وتعطلت جلسة الصباح بذلك ، فلما عاد المؤتمر الى الاجتماع مساء اصر المؤتمرون على انسحاب وفد الحبشة . فلم يكن بد من ذلك . واستغنى عن كلمات الوفود فلم يلق بعد ذلك في المؤتمر الا ما كان من قبيل البحوث والمحاضرات العامة .

واشتغلت اللجان بعد ذلك في الايام الاربعة الموالية . وكان المغرب ممثلا في جميع اللجان بعضو او عضوين . وكنت انا قد اخترت اللجنة الخامسة وهي (لجنة القضايا الاسلامية وتقرير المصير) فشرفني اعضاؤها بانتخابي رئيسا لها ، وذلك بترشيح من سماحة مفتي القدس ورئيس الهياة العربية العليا بفلسطين السيد الحاج امين الحسيني وغيره من رجالات العالم الاسلامي الذين كانوا مشاركين

ى هذه اللجنة ، وقد اشتغلنا فيها بجد وايمان وصبر ،
لانها اللجنة التى كان عليها معالجة المشاكل السياسية
للبلاد الا سلامية وهى مشاكل عويضة ، وتتعرض معالجتها
لاستفزاز شعور بعض الحكومات والوفود المشاركة فى
المؤتمر ، ولكنا عملنا باخلاص ، ولم ننظر الى هذه القضايا
الا من وجهة نظر اسلامية صرف ، فوفقنا الله ، ووضعنا
اكثر من عشرين توصية تتعلق بفلسطين وكشمير واليمن
والجنوب العربى ومسلمى الهند والحبشة وزنجبار والصومال
المحتل واريتريا وماليزيا وقبرص وعمان ومسقط وتركستان
الغربية والشرقية ، وتغلغل اسرائيل فى افريقيا ، والمناطق
المحتلة فى جنوب المغرب وشماله والمعتقلين المسلمين فى
السنكال ونقل مقر (الوحدة الافريقية) من اديس ابابا ،
وانهاء الاستعمار والتمييز العنصرى ، ومكافحة المبادىء
الهدامة ، ووجوب اعتماد التشريع الاسلامى فى الحكم فضلا
عن قرار عام بحق المسلمين فى تقرير مصيرهم بانفسهم ،
سواء كانوا اكثرية او اقلية فى البلاد التى يوجدون فيها ،
واختيار نوع الحكم الذى يرغبون فيه وليس هو الانظام
الحكم الاسلامى . واختيار شخص الحاكم ايضا . وفضلا عن
ملتمس خاص بمؤتمر القمة الاسلامى الذى دعا اليه جلالة
الملك فيصل .

وكذلك وضعت لجنة الدعوة وكانت برياسة فضيلة
الشيخ عبد العزيز بن باز توصيات مهمة تتعلق بتوحيد مناهج

التعليم فى البلاد الاسلامية ، وتأسيس معهد مركزى للدعوة والارشاد بمكة ، وتشجيع الصحافة الاسلامية ، وتقوية جهاز اذاعة صوت الاسلام ومناهجها ، والعمل على ايجاد مجتمع يعيش بالاسلام ويعيش فيه الاسلام حياة واضحة يلمسها كل احد ، تطبق فيه التعاليم الاسلامية الخلقية والروحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ،ووجوب كون الحرمين الشريفين مركز الاشعاع لهذه الدعوة ومصدر النور الاسلامى للعالم كله . . الخ . .

واوصت لجنة التضامن الاسلامى ، ورئيسها الاستاذ محمد اسد ، باصدار دراسة شاملة لفكرة التضامن تشتمل على بيان فوائدها بالنسبة لمجموع العالم الاسلامى ، كما تشتمل على بيان العقبات التى تعرقل هذا المسعى ، مثل ضعف الوازع الدينى وازدياد النعرات المذهبية، وتناقص المصالح الاقليمية، والنفوذ الاجنبى المعادى لتحقيق فكرة التضامن الاسلامى والافكار الرجعية الخ . وبتنظيم مؤتمرات فنية بين الدول الاسلامية فى حقول الثقافة والاعلام والاقتصاد وغير ذلك الخ . الخ.

وكانت اللجنة الاجتماعية والاقتصادية برياسة الدكتور معروف الدواليبى. وقد اسفر عملها عن المقررات والتوصيات الاتية :

1 – ان الاسلام نظام كامل مستقل بذاته يكفل حل

المشكلة الانسانية، اذ ينظم علاقة الفرد بالمجتمع ويحدد حقوق وواجبات كل ازاء الآخر ، في شكل يضمن التكافل ، ويحفظ على الفرد انسانيته ، وحريته .

2 ـ ان الدول الاسلامية تقف فى الوقت الحاضر على مفترق طرق متعارضة تريد ان تتخطى مرحلة التخلف الاقتصادى فتولى وجهها تارة شطر المذاهب الاشتراكية وتارة شطر المذاهب الديمقراطية الراسمالية .

وواقع الامر ان هذا الموقف لن يصل بها الى بر السلامة، فكلا المذهبين لم يعد قادرا على حل المشكلة الانسانية . كما أثبتت التجارب قصورهما عن تحقيق السلام العالمى . فلا محيص عن اتباع التعاليم الاسلامية للوصول الى هذا الغرض .

3 ـ نظرا لوجود كثير من المسائل الاقتصادية الفنية التى تجابه العالم الاسلامى ، على المؤتمر ان يعين لجنة دائمة للبحوث الاقتصادية لوضع اساس للاقتصاد الاسلامى واستغلاله وانعاشه .

كما قررت اللجنة ان الملكية والحقوق الفردية مصونة محترمة فى حدود ما تقضى به الشريعة الاسلامية ومع حق الضمان الاجتماعى فى حالة المرض والشيخوخة والترمل.

وأوصت اللجنة الثقافية برئاسة الدكتور فاضل الجمالى باقامة نظام ثقافى موحد الاساس والروح يشترك فيه جميع

المسلمين ، ليحررهم من غزو الانظمة الثقافية والفكرية المخالفة لمبادىء الاسلام وعقائده، ويكون مستمدا من الكتاب والسنة لضمان التحرر الحقيقى للمسلمين وبلاد الاسلام من الغزو الفكرى ، وبالعناية بتاريخ الاسلام وتدريسه فى جميع مراحل التعليم ، وكذلك حاضر العالم الاسلامى وجغرافيته ، والمشاكل التى يواجهها ، والحلول الناجعة لها ، وباعداد البيت المسلم ، وتهذيب الفتاة وتعليمها تعليما اسلاميا صحيحا ، وتحرير التعليم النسوى من تقليد الانظمة الاجنبية والتفريق بين الجنسين فى مراحل التعليم كلها الخ. وبالعناية بطلابنا فى الخارج ، واقامة مآوى لهم يتوفر فيها الجو الاسلامى ، مع انشاء مراكز للمراقبة فى البلاد التى يكثر فيها الطلبة المسلمون الخ .

وهكذا كما ترى ، كانت مقررات المؤتمر فى مستوى الاحداث والظروف التى يعيشها المسلمون ، ويعانون منها المشاكل والصعاب.

وقلت لمحدثى : يظهر ان المؤتمر نجح نجاحا كبيرا .

فقال: نعم، لقد كان نجاح المؤتمر باهرا جدا، وذلك بفضل النية الحسنة التى كان يتوفر عليها كل المشاركين فيه، وبعده عن التأثير والايحاء ، ولانعقاده فى رحاب البيت الحرام الذى جعله الله للناس مثابة وامنا .

وقلت لفضيلته : ما هى اعظم المشاكل التى واجهتكم فى اللجنة التى ترأستموها ؟

فقال : مشكلة كاشمير ومشكلة اليمن ، والاولى تغلبنا عليها بالاستعانة بزعيم كشمير الشيخ محمد عبد الله الذى يحظى باحترام كل من مندوبى باكستان والهند ، والثانية تغلبنا عليها بفضل تقدير الجميع للوضع الراهن فى البلاد العربية ووجوب سلوك سبيل الحكمة فى معالجة هذه القضية، حتى لاتزيد فى طين الخلاف بلة .

كذلك لقينا صعوبة فى التوصية التى وضعناها بشأن قضية الجنوب العربى لاختلاف الانظار والرغبات وتقدير الوضع القائم هناك ايضا .

قلت لفضيلة الاستاذ كنون : يظهر ان وفد المغرب قام بدور مهم فى المؤتمر ، فاجاب : نعم ، لقد كان للوفد المغربي فى المؤتمر دور مهم جدا ، وذلك لتجرده من النزعات وغلبة الروح الاسلامية عليه ، ولا ننسى مع ذلك انه كان متكونا من شخصيات علمية وسياسية ووطنية لها وزنها فى الداخل والخارج .

وشكرت لفضيلة الاستاذ الكبير عنايته واهتمامه وتفضله بالاجابة على اسئلة (الشعب) باسم عموم الشعب، زاد الله فى معناه ، ونفع بعلمه وفضله ، البلاد والعباد (مندوب الشعب بطنجة) .

رحلتنا الى الاتحاد السوفياتي

واقول رحلتنا لاننا جماعة ، تلقينا الدعوة الى هذه الرحلة افرادا ، من الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وكازاخستان ، وألف منا جلالة الملك المعظم وفدا برئاسة وزيره فى الاوقات والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش فاكتسبت الرحلة صفة زيارة رسمية ، وهكذا اعتبرت داخل الاتحـاد السوفياتى ، ولا سيما فى طشقند عاصمـة اوزبكستان التى هى مركـز الادارة الداعيـة حيث كانـت تنقلاتنا مخفورة من اصحاب الدراجات النارية.

اما فى غيرها فكانت مقابلاتنا مع كبار المسؤولين ، تؤكد هذه الصفة . ويتناول الحديث دائما العلاقات الطيبة بين المغرب والاتحاد السوفياتى ، ووضعية المسلمين فى الاتحاد ، وقضية الشرق الاوسط وموقف التأييد المطلق للحق العربى الذى تقفه روسيا من هذه القضية ، ثم الاعجاب بالمغرب وسياسته الرشيدة والثناء على جلالة الملك الذى يقود بلاده بحكمة واخلاص نحو التقدم والرفاهية ، وآفاق

التعاون المغربى السوفياتى التى فتحتها الاتفاقيات الجديدة المعقودة بين البلدين ، وذلك الى الروح الودية التى كانت تتقمص الكلمات المتبادلة بين من نقابله من المسؤولين والوزير رئيس الوفد.

ولست بحاجة الى القول اننا لما نزلنا بمطار موسكو وجدنا فى استقبالنا سعادة السفير السيد عبد الهادى الصبيحى والسادة بقية اعضاء السفارة وسماحة المفتى ضياء الدين باباخانوف رئيس الادارة الدينية المذكورة وشخصيات أخرى من الادارة الدينية العليا وغيرها . والجدير بالذكر ان كلا من سعادة السفير وسماحة المفتى قد صحبنا فى رحلتنا هذه ولم يال جهدا فى البرور والاكرام مدة الرحلة الطويلة جدا . كما اننا فى كل مكان حللنا به ، كان اخواننا من موظفى الادارة الدينية وبعض المسؤولين يستقبلوننا بمنتهى الحفاوة والترحيب .

ويجب ان نعرف ان الامر يتعلق بعالم شاسع الاطراف ، أو أقل شبه قارة مترامية الابعاد ، ولتقريب ذلك الى التصور ، فان الرحلة من هنا الى موسكو تضاهى الرحلة الى جدة ، ومن موسكو الى طشقند مثل ذلك ، ودع المدن الاخرى التى زرناها والمسافات المختلفة التى بينها . ففى ذلك كله كان المفتى باباخانوف ومساعد الادارة الدينية العليا ، مير

عصاموف والترجمان المقتدر يوسف خان برفقتنا يقدمون لنا اعظم الخدمات بالاضافة الى من ينضم اليهم من اهل كل اقليم. وكذلك كان السفير يرافقنا وهو يزور هذه الاقاليم للمرة الاولى.

واهم المدن والعواصم التى زرناها هى موسكو ولينين كراد وطشقند وسمرقند وبخارى ودوشامبه وباكو .

وبالنسبة الى موسكو فان سطورا معدودة مثل هذه لا يمكن ان تحيط بوصف ما رأيناه منها فى مدة قصيرة بل ولا ان تلم به ولو المامة خفيفة ، وقد كان اول ما بهرنا منها جمالها الرائع الذى يتمثل فى هذه الحلة الخضراء التى اضفاها عليها فصل الربيع ، وفى شوارعها الفسيحة التى تتخللها الاشجار وقطع الرياض كلما طالت واتسعت ، وفى مبانيها العظيمة بهندستها وفنها المعمارى لا بعلوها الشاهق الذى يحجب السماء والشمس كما نرى فى عواصم وروبية اخرى ، وبذلك كانت اعظم ميزة لموسكو هى الانشراح والتفتح والبشر والطلاقة ، فكأنها كائن حى يستقبلك بود وبشاشة . وقد قيل لنا ان هذه الايام هى أزهى ايامها ، لانها تصادف حلول فصل الربيع . وفى ايام الشتاء تكون غارقة فى الثلوج بحيث تبلغ نفقات تكسير الثلج بالآلات الخاصة قدر ميزانية الجمهورية التونسية . وفى نزولنا بها

عند قدومنا كان الجـو باردا نسبيـا ، اما عند رجوعنـا ومغادرتنا لها فقد كانت درجة الحرارة مثلها فى المغـرب ايام الاعتدال .

والليل فى موسكو قصير جدا كما شاهدناه، فالغروب انما يقع بعد الساعة التاسعة ونصف ويستمر الضوء الى الحادية عشر ونصف ولا يسدل الظلام رداءه حتى ينقشع حوالى الساعة الثالثة ثم يقع الشروق فيما بين الثالثة و الرابعة .

ومن اعظم ما يشاهد فى موسكو مبنى الجامعة الذى يقولون انه يحتوى على عدد من الغرف لو قدر ان مولودا نشأ فيه وقضى ليلة فى كل غرفة لما خرج منه الا وهو ابن ثمانين سنة او ما يقاربها .

وكذلك مبنى (البانوراما) الذى يمثل معركة بورودنيوبين الجيش الروسى ونابليون سنة 1812.

وحصن الكرملين الذى يحتوى على اعظم الكنائس التى بناها القياصرة الروس وقصر الحكومة ومتحف لينين الزاخر بالآثار والنفائس التى لا تقدر بثمن .

والساحة الحمراء الشهيرة ، وبها يوجد قبر لينين الذى تزوره الآلاف المؤلفة من السوفياتيين وغيرهم كل يوم، ويمرون فى مطافهم به على قبور رجال الحركة الشيوعية

المدفونين فى جدار الكرملين ومنهم ستالين وكـاكارين الرائد الفضائى المتوفى اخيرا .

اما لينين كراد التى يقال انها اجمل مدينة فى العالم ، فان اعظم ما يعجب منه الزائر ، هو اعادة بنائها على ما كانت عليه ، بعد الخراب والدمار اللذين أصيبت بهما أثناء الحرب العالمية الثانية . وعلى هول الكارثة وما يتحدثون به اليك من العذاب الذى عاناه اهلها مدة الحصار الطويل ، فانك لا تشعر ولا تحس باى أثر لهذا العهد الاسود الذى مرت به المدينة العتيدة ، وكل ما تراه هو البنايات الجميلة والرياض المتفتحة الورود والازهار والشوارع النظيفة ، على حفافيها الاشجار الزاهية الخضرة ، والقصور العظيمة المنبثة هنا وهناك .

ولولا مقبرة لينين كراد التى تضم ضحايا الحرب ، والتى هى من المشاهد المقصودة بالزيارة ، لما كان هناك دليل على ما قاسته هذه المدينة من نكبة عظيمة ، ولظن زائرها انها لم تشهد فى حياتها قط ما عكر صفوها واقلق راحتها .

ومن اعظم ما يزار بها قصر الشتاء العظيم ومتحف الفن الروسى المسمى بالارميطاج وكنيسة القديس اسحاق وقصر الصيف الذى لانظير له والجو في لينين كراد أشد بردا

من موسكو لانها ضاربة في الشمال كما ان الليل فيها اقصر، فقد كنا لا نأوي الى الفراش وننام قليلا حتى نفاجأ بضياء النهار . وهذه هي ليالي لينين كراد البيض المشهورة .

قطعنا المسافة بين موسكو ولينين كراد بالطائرة التى امتطيناها والليل يسابق النهار ، فلم نفتأ نخوض فى بياض الليل النهارى او ضوء النهار الليلى حتى اصبحنا .

واما المسافة بين لينين كراد وطشقند التى كانت هى مرحلتنا الثالثة ، فقد قطعناها بالقطار الليلى ، حيث قضينا ليلة كاملة من الساعة الثامنة مساء الى مثلها صباحا، نائمين او متفرجين على القرى والمزارع التى نمر بها

وطشقند هى عاصمة جمهورية اوزبكستان ، وكانت تعرف قديما بالشاس . والمنتسبون اليها من العلماء بالاسم القديم كثير . واشهرهم الامام ابوبكر القفال الشماسى . وقد زرنا قبره المحفوظ بعناية الادارة الدينية ،وهو من أهل القرن الرابع ، له كتاب محاسن الشريعة ، وغيره ويعرف بانه اول من قعد قواعد علم الجدل . وكان شافعيا ويكثر النقل عنه فى كتب الفقه والحديث .

واشتهرت طشقند فى السنوات الاخيرة بكثرة الزلازل التى اصابتها . وقد رأينا بعض الاماكن التى خربها الزلزال وأعيد بناؤها ، واخرى ما تزال حركة تعميرها قائمة على قدم وساق .

وطابع المدينة على العموم شرقى ، واهلها برغم مظاهر التغريب التى اكتسحتهم ، لا يزالون محتفظين بكثير من عاداتهم وتقاليدهم الموروثة ، فالهندام فى اللباس والزينة كارسال البنات غدائرهن من الخلف، والقرآن بين الحواجب لمن لم يكن خلقة فيهن ، وكاعتمار الرجال بهذه (الطواقى) الملونة من صنع محلى ، والمصنوعات التقليدية بوجه عام ، والاطعمة التى لا تختلف عن اطعمتنا فى تحضيرها او تقديمها ، وكون الشاى ، والاخضر منه بالخصوص ، هو الشراب المفضل لديهم سواء فى البيوت او الفنادق او المطاعم ، واما القهوة فانها نادرة الاستعمال ، تماما كما عدنا ، اعنى عند الشعب الذى ما يزال على عهد الآباء والاجداد؛ كل هذا وغيره مما يذكرك دائما انك في آسيا أو فى المغرب لا فى اوروبا ، وانك فى احدى العواصم الشرقية بجوها المادى والمعنوى ، فالمعنوى هو هذا الذى ألمعنا اليه ، والمادى هو حرارة الطقس وصفاء السماء بحيث لا يختلف الحال عنه فى بغداد او مراكش .

وهذه الملاحظة تطبق باطلاق على جميع المدن التى زرناها فى جمهوريات آسيا الوسطى باستثناء باكو التى غلبت عليها صفة المدينة الغربية فى المظهر العام .

وفى طشقند يقع مركز الادارة الدينية لمسلمى آسيا

الوسطى وكازاخستان التى يشرف عليها سماحة المفتى باباخانوف كما سبق القول ، وقد زرنا معالم المدينة وبعض الرسميين ومصانع الغزل والنسيج ومعرض المنتجات الوطنية للجمهوريات وغير ذلك .

وكان نزولنا فى طشقند بدارة خاصة (فيلا) تقع وسط مزرعة بضواحى المدينة ، وقد اتخذناها منطلقا لزياراتنا داخل اوزبكستان ، فتوجهنا منها صبيحة يوم 26 ماى لزيارة مدينة تشرتشق ، وهى مدينة حديثة لم يمر عليها الا عقدان من السنين ، وسكانها نحو مائة الف ، وفيها من المؤسسات الاجتماعية ، ما بين ثقافية ورياضية ونسوية ، على ما قيل لنا ، نحو السبعين مؤسسة ، وقد زرنا فيها احدى المحطات الكهربائية الكبيرة ، واحدى المزرعات الجماعية المعروفة بالكولكوز ، وتناولنا فيها طعام الغذاء على ترعة جميلة للرى الجماعى ، وعدنا الى طشقند مساء .

ثم توجهنا - غده - الى مدينة سمرقند وقطعنا الطريق بينها وبين طشقند بالسيارة فى يوم كامل ، توقفنا خلاله فى الطريق لزيارة المعهد الكهربائى والميكانيكى للزراعة ، وتقابلنا مع رئيس استصلاح اراضى « سهب الجوع » التى كانت بالامس القريب صحارى قاحلة ، فاصبحت الآن حقولا ومناطق زراعية هامة ، كما تناولنا طعام

الغذاء فى فندق بالطريق . وقد كان سفـرنا الى سمرقنـد بالسيارة ، على طوله ، مفيدا جدا ، لانه مكننا من رؤية البلاد ومعالمها الطبيعية والسكانية ، واجتزنا اثناءه بالممر الذى زحف منه تيمور لنك بجيوشه الهائلة الى ـ آسيا ـ الصغرى ـ والشرق الاقصى ، وهو مضيق بين جبلين كثيرا ما يتوقف عنده السياح للتأمل والاعتبار .

والجدير بالذكر اننا طول الطريق بين طشقند وسمرقند كنا نلتقى بالعشرات من الشاحنات الضخمة المحملة بمواد البناء والاجهزة الفلاحية والمواسير ذات الحجم الكبير ، وغير ذلك مما ينبىء بالجهود الجبارة التى تبذل فى هذه المقاطعـة لانعاشها اقتصاديا وعمرانيا حتى تلحق بجاراتها وتستفيد من تروتها الطبيعية اتم استفادة .

ومدينة سمرقند من المدن الاسلاميـة الكـبـرى ذات التاريخ العريق فى العلم والحضارة . وقد حملت راية الاسلام فيما وراء النهر وبلاد الشرق الاقصى حقبة طويلة من الزمن . واتخذها تيمور لنك عاصمة لمملكته الشاسعة الاطـراف ، وحرص على جعلها من اجمل عواصم العالم . ولا تزال تحمل من آثارها العظيمة شواهد على ماضيها الزاهر ، مما جعلها قبلة السياح والزوار الذين يقفون مشدوهين أمام تلك الآثار وما تمثله من براعة فى الهندسة المعمارية وفنون النقش والزخرفة العديمة النظير .

ومن اعظم معالمها التى شاهدناها مقبرة شاه زنده حيث يوجد ضريح سيدنا قثم بن العباس ، ابن عم النبى (ص) ناشر دين الاسلام فى سمرقند وما وراء النهر ، وهى مقبرة عظيمة تضم عددا من القبب الشامخة البناء المزينـــــــة بالفسيفساء الازهية الالوان التى يرقد تحتها ملوك وامراء آل تيمور الذين حكموا البلاد فى القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادى، ويدخل اليها من (بوابات) كبيرة غاية في الفخامة والزينة ، ولكن ما يشاهـد داخلهـا من زخـارف ونقوش ابدع واروع. ومن العسير على الزائر ان يلم بكل المشاهد ويقف على جميع الاضرحة، وم يراه منها فى المدخل الطويل للمقبرة، وهو وحده كاف لاستنفاد وقت الزيارة ، مهما طال، فى التأمل والاعجاب، لا سيما والمقبرة عبارة عن مدينة للاموات وتحتوى على مساجد ودروب ومدرجات لا يسهل اجتيازها بسرعة.

ولا يرقد تيمور لنك فى هذه المقبرة ، بل فى الضريح الذى بناه هو لحفيده محمد سلطان ، ودفن فيه كذلك اولوغ بك فيما بعد . وهو ضريح بالغ الجفوة متناهى الابداع . وتبدو قبته الزرقاء المضلعة من كل مكان فى المدينة .

ومسجد بيبى خانم هو ايضا من آثار سمرقند التى تستثير الاعجاب ، وذلك بالرغم من تهدمه وخرابه ، بفعل الزلازل

وعدم تماسك بنائه لضخامته وسرعة انجازه ، وهو من عمل تيمور وقيل من عمل زوجه ، وتحكى فى ذلك حكاية هى الى الاسطورة اقرب منها الى الحقيقة.

ومن آثار سمرقند مدرسة اولوغ بك فانها تأسر النظر ببوابتها العظيمة ومأذنتيها الفارعتين مع روعة البناء وجمال التنسيق ودقة الرسم وبراعة الزخرفة ، وهذا على ما تهدم منها او خرب من القبب ومظاهر الزينة ، ولو بقيت على حالها الاولى لكانت من عجائب الدنيا.

ومنها مرصد اولوغ بك الذى كانت له اهمية علمية كبيرة في زمنه ويعد حتى الآن من الادلة الشاهدة بتقدم علم الفلك والرياضيات بعامة فى العهد الاسلامى من تاريخ سمرقند .

وبالاضافة الى الآثار القديمة زرنا جامعة سمرقند التى تحمل اسم الشاعر السمرقندى الكبير على شير نوائـى وتحدثنا الى مديرها الفاضل السيد واحدى عبد الله وثلة من أساتذتها الكبار . وقد ذكر لنا السيد المدير ان الجامعة حديثة النشأة لانها لم تؤسس الا فى الثلاثينات من هذا القرن ومع ذلك فانها تطورت تطورا عظيما وكان طلبتها فى اول الامر لا يتجاوزون العشرات فاذا بهم الآن بضعة عشر الفا ، وكان اساتذتها الاولون كلهم من موسكو ، واليوم كلهم من ابناء الجمهورية الاوزبكستية ، ومن خريجى الجامعة . وذكر

لنا انها تحمل اسم احد نبغاء سمرقند فى العلم والادب والشعر وهو على شير نوائى وذلك ربطا لحاضر البلاد بماضيها المجيد ، وان السنة المقبلة سيحتفل فيها بمرور ألفين وخمسمائة سنة على تأسيس مدينة سمرقند وسيكون الاحتفال عظيما يدعى اليه شخصيات علمية وتشارك فيه وفود من جميع الاقطار ... وهكذا يبنى اخواننا المسلمون فى الاتحاد السوفياتى مستقبلهم العلمى والحضارى على أساس من ماضيهم الذى كان هو ايضا مزدهرا ومشرقا .

وأخيرا وشح مدير الجامعة صدورنا بشارتها التى تحمل رسم الشاعر النوائى فودعناه شاكرين .

ولا يتم الكلام على سمرقند بدون ذكر زيارة ضريح الامام البخارى صاحب الجامع الصحيح الذى هو اصح كتب السنة ، وضريحه يقع على بعد بضعة اميال خارج سمرقند، فى القرية التى كانت تسمى فى وقته خرتنك كما هو معلوم. وقد ذهبنا اليه ضحى اليوم الذى اصبحنا فيه بسمرقند ، ومعنا المفتى والصحفيون وباقى الجماعة ، فوجدنا اهل القرية فى انتظارنا ، امام المسجد البخارى والقومة على الضريح الذى يقع فى باحة فسيحة مكشوفة وهو محاط بالالواح الرخامية وعلى واجهته كتابة بالعربية والاوزبكستنية تتضمن شيئا من ترجمته وتاريخ ولادته ووفاته فترحمنا عليه

وصلينا فى المسجد الذى بجانب الباحة ركعتين ثم جلسنا في العرصة تحت ظل شجرة قيل لنا ان عمرها خمسمائة عــام وهناك شربنا الشاى وتناولنا بعض الفواكه فى جلسة من امتع الجلسات ، وأنشد الاخ الاستاذ الشاعر السيــد عبد الرحمن الدكالى هذين البيتين ارتجالا لما ذكر المفتــى أن الشاى الذى نشربه من سمرقند وان الماء الذى هىء به من بخارى بالامالة.

الشــاى شــاى سمرقــنـد
والـمــاء مــاء بــخــارى
والــيــوم يــوم مــمـجــد
مــع الامــام الــبــخــارى

واحب ان اذكر ان زيارتنا هذه وغيرها لبعض قبــور العلماء انما هى للذكرى والاعتبار ، وليست من قبيل ما يفهمه بعض الناس من زيارة القبور للتوسل بها والتعلق ، نعوذبالله من ذلك ، والامر وان كان لا يخطر ببالنا ، الا اننا نبهنا عليه دفعا للشك وطردا للوهم الذى ربما يحصــل لبعــض ضعفاء الايمان . والحاصل ان القضية لا تخرج عن «مدلول الحديث الشريف : «كنت نهيتكم عن زيارة القبــور ، ألا فزوروها فانها تذكر بالآخرة».

ومن سمرقند ذهبنا الى بخارى ونحن اشوق ما نكون الى رؤية المدينة التى انجبت أعظم محدثى الاسلام وصاحب

اصح الكتب بعد كتاب الله ، ونعنى به الامام ابا عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله ، أن مدن ما وراء النهر وبلاد العجم كافة ، وبخارى من ضمنها ، كانت مراكز حركة اسلامية وعلمية عظيمة ، وكان عطاؤها فى حفظ السنة ورواية الحديث خاصة اعظم عطاء ، فنيسابور اعطتنا مسلم الحجاج صاحب ثانى الصحيحين، وترمذ اعطتنا ابا عيسى الترمذى صاحب الجامع المشهور ، وسجستان اعطتنا ابا داود صاحب السنن ونسا اعطتنا النسائى صاحب السنن أيضا ، وقزوين اعطتنا ابن ماجة وهو صاحب سادس الكتب الستة المعتمدة عند المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها واذا علمنا ان اجل هذه الكتب وأسماها من حيث صحة الرواية والقيمة العلمية هو صحيح البخارى علمنا ان بخارى تحتل مكان الصدارة من بين هذه المدن وانها من الناحية المعنوية اميرتها وسيدتها كما ان البخارى امير المومنين فى الحديث وسيدهم .

ولما كنا قد زرنا قبره بخارج سمرقند ، فقد دخلناها وكأن بيننا وبينها عهدا وبيدنا توصية الى اهلها الذين استقبلونا احسن استقبال . وزرنا من معالمها مسجد كلان اى المسجد الكبير ذا المئذنة المستديرة البديعة الشكل العجيبة الزخرف ، وهو من اعظم المساجد التى رأيناها

مساحة فاسمه يطابق المسمى ، وان كان الآن انما يعتبر أثرا من الآثار .

وفى بخارى المدرسة الدينية التى يتلقى فيها طلبة اوزبكستان دروس اللغة العربية والدين ، وقد زرناها كذلك واتصلنا باساتذتها وبعض طلبتها ، ومدة الدراسة فيها خمس سنوات وموادها حفظ القرآن الكريم وتجويده والفقه واللغة العربية وما الى ذلك فهى بمثابة معهد دينى ثانوى يتخرج منه الطالب وهو مؤهل للالتحاق باحدى الكليات الاسلامية فى الازهر او القرويين او غيرهما . وبالفعل فقد كان ثلاثة من الطلبة المتخرجين من هذه المدرسة التحقوا بكلية الشريعة بفاس وبعد الدراسة بها مدة عادوا الى بلادهم وهم الآن يتولون هناك وظائف التدريس والامامة بالمساجد والقوامة على المكتبات الاسلامية التابعة لها وقد رايناهم وهم من أحسن أهل العلم سلوكا وخلقا وسمتا .

وما احرى إخواننا المسلمين فى الاتحاد السوفياتى بتأسيس كلية للدراسات الاسلامية العليا يلتحق بها خريجو هذه المدرسة ومثيلاتها فى بقية الجمهوريات ليتسنى لاكبر عدد منهم أن يتم دراسته ولا يقتصر ذلك على الذين يسعدهم الحظ بالرحلة الى الخارج .

ومن الآثار القيمة فى بخارى التى تستحق الزيارة ضريح

اسماعيل السامانى من امراء الدولة السامانية التى حكمت امارة بخارى وبلغت هذه المدينة فى عهدها اوج الرقى والتقدم.

وكان الرئيس ابو على بن سينا حكيم الاسلام ممن وزر لامرائها هؤلاء : وهذا الضريح عبارة عن بناية صغيرة ذات قبة تقوم فوق جدران مخرمة على نسق جميل يجعل واجهات الضريح شفافة بحيث يرى باطنه من ظاهره ، ويتخلله الهواء واشعة الشمس ويبدو كانه منظرة فى شكل (مامونى) بالاصطلاح المغربى ، وكل ذلك فى رشاقة وخفة مع متانة وقوة ، ناهيك انه قد مر عليه اكثر من الف سنة وهو لا يزال رائعة من روائع الفن والبناء .

ومن آثار بخارى ايضا مدرسة اولوغ بك وهى قرينة مدرسته فى سمرقند وان كانت تختلف عنها بعض الشىء ومدرسة مير عرب وحوض لب وهو عبارة عن خزان ومجموعة من البنايات الاثرية ، ويطول بنا الكلام اذا تعرضنا لوصف كل الآثار التى شاهدناها فى بخارى ، ولا سيما المساجد والمدارس .

بعد انتهاء زيارتنا لبخارى ، رجعنا الى طشقند بطريق الجو ، فمكثنا بها يومين ، قمنا خلالهما ببعض الاتصالات والزيارات التى اشرنا اليها من قبل . واقامت لنا الادارة

الدينية حفلة وداع مساء يوم الخميس 30 ماى قدمت الينا فيها بعض الهدايا اهمها المصحف الكريم المطبـــوع فى طشقند . وفى صباح يوم الجمعة غادرناها متوجهين الى مدينة دوشنبه عاصمة جمهورية تاجيكستان ، فوصلنا اليها بعد ساعتى طيران .

وهذه المدينة حديثة انما انشئت فى عهد الاتحاد ، وكانت قبل ذلك عبارة عن سوق اسبوعية تسمـــى سوق الاثنــــيــــن .

وذلك هو معنى دوشنبه . وبعد ان لم يكن بها الا نحو اربعين بيتا ريفيا ، ونحو 250 من السكان اى بعد ان كانت قرية ريفية صغيرة اصبحت اليوم مدينة كبيرة بها مبان وعمارات ومخازن تجارية ومعامل وجامعة تحمل اسم جامعة تاجيكستان ومؤسسات ثقافية واجتماعية كثيرة وبلغ عدد سكانها أكثر من 300.000 نسمة .

وهى بحكم ارتفاعها عن سطح البحر 824 مترا وتدفق مياهها والتفاف أشجارها تعتبر من انزه مدن اواسط آسيا واجملها واعدلها هواء واصحها مناخا .

وعند نزولنا من الطائرة تلقانا جماعة من فضلاء اهلها وبايديهم باقات الزهور وكان من بينهم الامام والقاضى ، وقد ذهبنا توا الى الفندق حيث استرحنا قليلا وتوجهنا الى المسجد الجامع لصلاة الجمعة .

وبعد الغداء زرنا المعهد الطبى وتحدثنا الى مديره ونخبة من اساتذته رجالا ونساء ، ومما دار الحديث بيننا فيه قضية جراحة القلب وزرعه ، وقد عبر لنا مدير المعهد الذى هو جراح كبير عن مخالفته لاطباء زرع القلوب وقال ان هذه العملية تؤول الى قتل شخصين، الشخص الذى يفسل قلبه والشخص الذى يزرع له هذا القلب، فالذين يزعمون انهم ينقذون بها مريض القلب انما يتسببون فى قتل شخصين اثنين من حيث يشعرون او لا يشعرون.

وهذا المعهد يحمل اسم ابن سينا ورأينا له صورة ممتازة فى قاعة الاستقبال استأثرت باعجابنا فطلب الوزير منها نسخة لمستشفى ابن سينا بالرباط فاجيب طلبه فى الحال . ثم زرنا احدى المدارس الداخلية الكبرى التى تقع فى بقعة واسعة قيل لنا انها تبلغ ستة آلاف هكتار اكثرها عبارة عن رياض وعراص مغروسة بانواع الرياحين والاشجار، وفي هذه المدرسة قسم للحضانة يؤوى اطفالا من سن الثلاث فما فوق ذكورا واناثا ، وقسم للدراسة الابتدائية وقسم للثانوى الاول ، وهم ما بين يتامى وابناء فقراء يشتغل آباؤهم فى اماكن بعيدة ، او ابناء موظفين ونحوهم يدفع آباؤهم واجب اقامتهم فى المدرسة . والعناية بالجميع على ما رأينا بالغة الغاية .

ثم زرنا معرض الاقتصاد الوطنى للجمهورية التاجكستانية ، وفيه انواع المنتجات من فلاحية وصناعية وعلمية وفنية .

وبعده زرنا المكتبة الوطنية للجمهورية وهى تحمل اسم الفردوسى الشاعر الايرانى المشهور . ومن الجدير بالذكر ان لغة تاجيكستان القومية هى الفارسية . وفى قسم المخطوطات من هذه المكتبة قابلنا قيمه الذى يتكلم بالعربية، وأطلعنا على مخطوطات نادرة فى فقه الاحناف وفى الادب العربى والتركى والفارسى ووثائق تاريخية هامة بالروسية وغيرها . ومديرة المكتبة سيدة فاضلة قابلتنا بمنتهى اللطف والعناية ، وصحبتنا فى كل الاقسام التى زرناها . وقد اهدى السيد الوزير الى المكتبة بمناسبة هذه الزيارة نسخة من مصحف الحسن الثانى وبقية مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، فتقبلت هذه الهدية بمزيد الشكر .

واخيرا تفسحنا فى الحديقة العمومية للمدينة وان كانت هذه المدينة كلها حديقة ، ووقفنا فيها على ضريح صدر الدين العينى مؤسس الادب التاجيكستانى ، وهو يقع وسط الحديقة فى بناية مسدسة الاركان ، فى كل ركن منها قوس مفتوح وفى وسطها قاعدة عليها تمثال نصفى للعينى بلحيته البيضاء وطاقيته المحلية تعلوه سيما الوقار والعبقرية .

هذا ولم تكن زيارة دوشنبه فى برنامجنا اول مرة . وكان علينا ان نعود من طشقند راسا الى موسكو ، ولكنا لاحظنا بعد المسافة واخترنا تقسيم الطريق الى مرحلتين على الاقل للاستراحة من طول السفر ، واقترح الاخ الاستاذ عبد الكبير الفاسى السفير السابق بالاتحاد السوفياتى الرجوع عن طريق باكو جمعا بين فائدتى رؤية هذه المدينة ، وتجزئة الطريق، فكان اقتراحه في منتهى الصواب، ولم يتقرر امر رجوعنا عن طريق باكو حتى كنا في دوشنبه وكان قبل ذلك محتملا فقط .

وباكو هى عاصمة جمهورية اذربيجان ، ومحل الادارة الدينية لمسلمى ما وراء القوقاز ، والمركز الرئيسى للثروة النفطية في الاتحاد السوفياتى فهي مدينة ذات أهمية كبرى . وتقع على بحر قزوين ، وهى تشبه كثيرا مدينة طنجة ، لاشرافها مثلها ، ولانها تشكل نصف دائرة حول البحر تماما كشكل طنجة ، فبالنسبة الى كانت زيارتها مبعث غبطة وسرور ، لا سيما وقد استنشقت هواء البحر الذى يزيد النفس مرحا ونشاطا . وكان العهد به قد طال ــ ولما وقفنا على مينائها لم نملك ان نرد دعوة بالتفسح فى البحر على ظهر مركب صغير .

والمدينة فى نفسها جميلة ونظيفة وبناياتها متناسقة

ويغلب عليها الطابع الغربى بحيث بعد ما بينها وبين مدن الشرق التى رأيناها فى الجمهوريات الاخرى . ومسلمو باكو سنة وشيعة ، فرئيس السنة يسمى مفتيا ورئيس الشيعة يسمى شيخ الاسلام ، وكلاهما شيخان فاضلان مسنان جدا، وقد استقبلونا جميعا احسن استقبال ولازمونا مدة اقامتنا بينهم وهى يوم وليلة ، فلم يفارقونا فى جميع تحركاتنا وعرفنا بذلك توافقهم وعدم تاثير الخلاف المذهبى فى علاقاتهم الشخصية ، وذلك ما ادخل علينا سرورا كبيرا .

ومن الآثار الاسلامية القديمة التى زرناها فى باكو مجموعة قصر الامراء الشيروانيين ، ويرجع تاريخ هذا القصر الى القرن الخامس عشر الميلادى . وكذلك المأذنة المعروفة بسنيق قلعة ، وهى مئذنة فى منتهى الجفوة والمتانة ، بحيث لا يشك احد فى انها قلعة كما يسمونها لو لم يثبت تاريخيا انها مأذنة لمسجد كان يسمى مسجد محمد . وهندستها أيضا تؤيد ذلك . وهى من مبانى القرن الحادى عشر الميلادى .

أما اعظم ما رأيناه فى باكو، وبالتدقيق فى طريقنا اليها ونحن فى الطائرة ، فهو مدينة الاحجار النفطية التى تقوم فى عرض البحر على الاعمدة الفولاذية ، وتنصب فيها المبانى السكنية والمطاعم والمعامل والمخازن ، ويحل بها الالاف

من العمال والموظفين والاختصاصيين فى صناعة النفط واستخراجه من قعر البحر ومن بين الصخور السوداء التى كانت تغطى هذه المنطقة البحرية وكانت مصدر تهديد للسفن وخطرا حتى على الصيادين الذين يرودون المنطقة ، فهى معجزة من معجزات العلم والتقنية الحديثة فى الاتحاد السوفياتى ما فى ذلك شك .

وماذا عن الاسلام بالاتحاد السوفياتى !

نعم هو ذا حديثه ، وماأخرته الا لتكون الكلمة فيه على حدة ، غير متأثرة بالانطباعات العامة للرحلة ولا مندمجة فيها . وقد رأى القارىء اننا زرنا اكثر الجمهوريات الاسلامية، بالاضافة الى موسكو ولينين كراد من الاتحاد السوفياتى الاروبى . ولا تهمنا هنا التقسيمات الادارية الدينية للمسلمين فى الاتحاد بقدر ما تهمنا الحالة الدينية لهم على نحو ما شاهدناها، فالحكم هناك بموجب انه لا دينى يجعل السكان ينظمون شؤونهم الدينية بانفسهم فى ادارات اقليمية تجمع ما بين المتدينين بالاسلام او بغيره من الاديان ، وتوظف الدولة فى هذه الادارة مندوبين عنها من غير المتدينين طبعا للمراقبة والتسيير . وعلى كل حال فالنص الدستورى الذى تستند اليه الدولة فى هذا الوضع يقول : « لكى تؤمن للمواطنين حرية المعتقد تفصل الكنيسة فى الاتحاد

السوفياتى عن الدولة والمدرسة عن الكنيسة ، ويعترف لجميع المواطنين بحرية ممارسة الشعائر الدينية وبحرية الدعاية اللادينية» .

وغنى عن البيان ان الكنيسة هنا تشمل المسجد ، فهو داخل فى هذه المعاملة ولو فى الجمهوريات التى كل سكانها من المسلمين . ولا نغفل عن الفقرة الاخيرة التى مضمنها تشجيع الالحاد، لانها لا تسوى بين ممارسة الشعائر الدينية والالحاد فى الحرية بل تعطى للالحاد حق الدعاية ، ومن حيث ان الدولة هى التى تتولى هذه الدعاية لانها لا دينة ، فان ذلك يرجع كفة الالحاد من غير شك ،

وباعتبار هذا الوضع فان عدد السكان المسلمين فى الاتحاد غير معروف ، لان الاحصاء لا يقوم على اساس العقيدة الدينية ، فدوائر الاحصاء ليس لديها معلومات من هذا القبيل ، ولكن من السهولة بمكان معرفة عدد المسلمين على وجه التقريب ، بمعرفة عدد المواطنين فى الجمهوريات الاسلامية وعدد المسلمين فى بقية بلاد الاتحاد التى لهم فيها اقلية معتبرة ، وهو بمقتضى ذلك لا يقل عن 45 مليونا اى ما يعادل خمس سكان الاتحاد .

ثم ان المسلمين فى الاتحاد يكونون قوميات مختلفة ، وهذه القوميات تتركز فى الجمهوريات التى ترمز اسماؤها الى اصولها مثل اوزبكستان ، وكازخستان وغيرهما ، ويحترم الدستور حقوق هذه القوميات وينص على حفظ كيانها ، فهى بذلك تسهم فى بناء الاتحاد وتتطور داخل مقوماتها الذاتية من لغة وتاريخ وادب وما الى ذلك ، الا ان الملاحظ ان الجمهوريات الاسلامية نبذت الكتابة بالحروف العربية فى حين ان غيرها كالجمهورية الارمنية والاوكرانية من الجمهوريات المسيحية ما تزال تحتفظ بحروف كتابتها والامر فى ذلك لا يرجع الى ضغط الدولة ـ كما صرح لنا به احد المطلعين من المسلمين ـ بل الى تساهل الحكام المسلمين فى الجمهوريات ، على حين ان زملاءهم فى الجمهوريات المسيحية تمسكوا بكل مقوماتهم الادبية كما يضمنه الدستور وهكذا يتحقق مرة أخرى ان المسلمين الذين يتهمون بالتعصب هم ابعد الناس عنه حتى فيما يجب ان يتعصبوا له وهو امر مؤسف .

وبخصوص الحياة الدينية فاننا والحق يقال راينا في كل المسلمين الذين لقيناهم حماسا دينيا وتمسكا بالعقيدة الاسلامية ومسارعة الى اداء الشعائر ، الواجب منها والمندوب، ما لم نكن نظنه ، وقد صلينا فى كل مدينة أو قرية حللنا بها ، فوجدنا فى المسجد جماهير غفيرة من اخواننا المسلمين

ينتظروننا ، وكان ذلك بسبق اعلام طبعا ، لانه اذا لم يعلموا فمن غير الممكن ان يحضروا بذلك العدد الكثير ، وكانت الصلاة دائما مسبوقة بنوافل الخير ومطابقة للسنة وتتبادل خلالها احاديث اخوية كثيرا ما كان يقوم بها المفتى نفسه فيقدم الوفد فردا فردا الى جمهور الحاضرين بأوصافه ومؤهلاته ويذكر المغرب بأحسن الذكر وينوه بجلالة الملك المعظم الحسن الثانى ووالده العظيم محمد الخامس اعظم التنويه ، وكان معالى الوزير يجيب فى كل مرة بما يناسب ويقدم الى امام المسجد وخزانته نسخا من المصحف الحسنى ومطبوعات وزارة الاوقات والشؤون الاسلامية بمساعدة الرفيق الاستاذ محمد بن عبد الله رئيس تحرير «دعوة الحق» التى كثيرا ما وقع التنوية بها فى هذه الاحاديث . واذا لم يكن المفتى هو المتحدث فان امام المسجد يقوم بالمهمة . وكنا ايضا نقوم بالقاء احاديث دينية أنا والاخ الاستاذ السيد عبد الرحمن الدكالى . وفى مسجد لينين كراد القيت انا خطبة الجمعة والقى الاستاذ الدكالى حديثا جامعا وكان الجمهور متحمسا وخاشعا ومتأثرا شديد التأثر ولا سيما حين يقوم المفتى او من ينتدبه لترجمة تلك الاحاديث الى اللغة القومية للبلد الذى نكون فيه.

وقد صلينا جمعتين فى رحلتنا ، هذه التى وافقناها

فى لينين كراد والثانية فى دوشنبه وكانت حافلة ايضا والقى فيها القاضى ميرزا عبد الله خطبة فى تقديم المغرب واعضاء الوفد الى المستمعين ، والقى المفتى خطبة الصلاة والقينا نحن الاثنين كاتب الحروف والاستاذ الدكالى حديثين دينيين ، ورأينا من التعلق وقوة الشعور فى اخواننا المسلمين هناك ما يجسم ترابط المسلمين ووحدتهم وتعاطفهم سواء كانوا فى الشرق أو الغرب عربا أو عجما ، وذلك مما يوحى بالمستقبل العظيم الذى سيكون للاسلام فى الزمن القريب ان شاء الله .

ومن الملاحظ أن اكثرية المسلمين الذين يحضرون الصلاة متقدمون فى السن ، ولا يستغرب ذلك ــ كما قلت للاخ ابن عبد الله ــ فان الشباب فى ذلك الوقت يكونون فى العمل ، اذ أن غالب الصلوات التى اديناها فى المساجد كانت ظهرا . ومن غير هذا الاعتبار ، فاننا نعلم ان اكثرية الشباب فى العالم الاسلامى فضلا عن غيره ، تتهاون بالشعائر الدينية ، وهذه مساجدنا مع البطالة والضياع الذى يعانيه الشباب قلما تجد عنصر الشباب بين روادها .

وكذلك الحكام والمسؤولون لم يكن يحضر معنا احد منهم فى الصلاة ، وامر هؤلاء معروف حتى فى البلاد التى لا تفصل الدين عن الدولة .

وشيء اخر وهو ان المساجد كثيرا ما تكون في الاحياء القديمة ، وهي على كل حال مساجد عظيمة تثير الاعجاب ، وان كانت بنظرنا قليلة ونظن ان هذا الامر يتمثل حتى في بعض المدن الاسلامية من غير الاتحاد السوفياتي ، التي نمت في العهد الحديث بسرعة عظيمة وبقيت احياؤها الجديدة خالية من المساجد .

والخلاصة ، وهذا رأيي الخاص ، ان الاسـلام في الاتحاد السوفياتي بخير ، وان صخرته اعتى من ان تحطمها الدعاية اللادينية الحرة ، بل اني ارى ان الدعاية التي تروج ضد التدين في روسيا مبالغ فيها كثيرا ، وان الدعاية التي يروجها السوفياتيون ردا على ذلك هي اقل من الواقع .

ولا اختم حديثي هذا بدون الاشارة الى النخبة التي لقيناها من الايمة والعلماء كايمة مساجد موسكو ودوشنبه وباكو فانها من امثل المسلمين تدينا واخلاقا وعلما وعملا . وفي مكتبة طشنقد الاسلامية رأينا اخوانا من اهل العلـم عاكفين على المطالعة في كتب اللغة والفقه والحديث والتفسير وعليهم جلال المعرفة والتقوى وتحدثنا معهم احاديث مفيدة في مواضيع علمية مختلفة .

كما نشير الى اننا طوال مقامنا في الاتحاد السوفياتي سواء في البلاد الاسلامية او غيرها وعلى كثرة ما اقيم لنا

من الاحتفالات الرسمية وغيرها لم يقدم على مائدة من الموائد اى مشروب حرام ، بل اننا حتى فى الفنادق والاماكن العامة لم نر الناس يتناولون الخمر ، وانما يتناولون المياه المعدنية الكثيرة الاصناف والتى تكاد كل جمهورية أو بلد تختص بنوع منها .

حتى اذا ركبنا الطائرة عائدين ، وحتى اذا كنا فى دار احد سفرائنا فى الخارج ، فحينئذ رأينا الخمر تعرض على من يرغب فيها .

ومن الملاحظ ايضا ان التبرج والعرى وتسكع النساء فى الشوارع لا وجود له فى روسيا أو على الاقل لم يلفت نظرنا بالشكل الذى نراه عندنا وفى البلاد الاروبية الاخرى. والمرأة هناك قوية تلوح عليها ملامح النشاط والصحة فضلا عن الجد والمروءة والبراءة، ولله فى خلقه شؤون.

وبعد فهذهانطباعات عن زيارتناللاتحاد السوفياتى ، لم اقصد بها الى وصف الرحلة ولا الى الاستطلاع الصحفى، وانما تحدثت فيها كما اتحدث الى اصدقائى عند ما اعود من رحلة ما ، فاذكر لهم بعض ما علق ببالى أو استلفت نظرى ، منغير ان اعنى بترتيب هذا الحديث او اتحرى التسجيلات اليومية للرحلة ، لا سيما وبعضها لم يكن يهمنى انا شخصيا فكيف يهم القارىء الذى انما يريد نظرة عامة عن الاحوال

والماجريات الواقعية الراهنة فى البلاد التى تخضع للسيطرة الشيوعية خضوعا تاما ، وتعيش فيها شعوب اسلامية شقيقة يرتبط مصيرها بمصير تلك البلاد الآن ؟

ومن غير الملم بالمعلومات التى يستطيع كل باحث ان يجدها فى مظانها ، اعتقد انى قدمت صورة واضحة من حياة السكان والمسلمين منهم خاصة ، فى الاتحاد السوفياتى ، كما امكن لى ان استجليها فى اقل من عشرين يوما ، مع اللمسات التى تبرز الامانى الكامنة فى النفوس والتطلعات لمزيد من الحريـة الشخصية والعامة .

واحب أن اسجل ان الترابط بين القوميات المختلفة الذى يضمن تطورها جميعا وتقدمها السريع ، لهو من اعظم الوسائل لنمو الشعوب ومحاربة التخلف فيها ، ولكن بشرط ان لا يطغى جانب على جانب ، وان لا تكون العقيدة متبانية فتتحكم عقيدة فى اخرى . وهذا طبعا فى غير الاقليات التى لا شأن لها ، فهذه يكفى ان تضمن لها حريتها ولا ينبغى ان تتطلع الى ما وراء ذلك .

ولم اشر فى هذا الحديث الى السهرات الفنية التى اقيمت لنا خصيصا او حضرناها مع العموم فى المسـارح والسينمات والسيركات قصد الترويح والترفيه ، لانى كما قلت لم اقصد الى تسجيل يوميات الرحلة ووقائعها ، ولكنى

لابرهن على صحة الفكرة السابقة ، اقول ان حفلات الفلكور التى شهدناها فى الجمهوريات الاسلامية دلتنا على ان تلقيح الثقافات وتكاملها بالاقتباس والاحتذاء له اثر عظيم فى احياء التراث القومى وتطويره ، فلقد رأينا كثيرا من المشاهد الاستعراضية التى لها شبه كبير بفلكلورنا ، لكنها لما هذبت وكيفت حسب مقتضيات الفن والذوق العصرى ، اصبحت شيئا له قيمته وجاذبيته ولم تفقد شيئا من مميزتها الخاصة.

كذلك لم اذكر شيئا من اعتزاز القوم بلغتهم، وعدم اعتماد اى لغة غيرها فى الحديث والكتابة على واجهات المؤسسات الخاصة والعامة، من غير اشراك للغة اخرى معها بحجة تسهيل الامر على السائح والغريب أو غيرها من الحجج ، حتى البطاقات البريدية التى تطبع عادة للدعاية لنبلاد قلما يكتب على ظهرها ما يبين مناظرها بغير اللغة الروسية ، وهذا مع صعوبة حروف هذه اللغة ومخالفتها للحروف اللاتينية المنتشرة فى العالم . فلم يقل القوم ان هذه الحروف صعبة وغير متفقة مع الحروف التى تستعملها اكثرية البلاد المتحضرة ، فهلم نبدل حروفنا ونصطنع غيرها كما يقول العرب المخذولون . ولقد اردت ان ابعث

ببرقية من مكتب البريد فى الفندق بموسكو ، فلم اجد العاملة تفهم غير الروسية ، ولما كان الامر يحتاج الى تفاهم فى طريقة ارسال البرقية ، اذ كانت اغلب المواصلات عن طريق باريس وهى فى اضراب شامل آنذاك ، فانها ذهبت فاحضرت موظفة اخرى فى استقبالات الفندق لتتفاهم معى فى هذا الامر البسيط بالفرنسية ، وتتفهم مضمون البرقية .

وعلى ذكر البريد فانى لا اغفل الاشارة الى تباطىء البريد الروسى فى ابلاغ الرسائل ، الامر الذى يرجع فيما اظن الى الرقابة على المراسلات ، وقد تأخرت كل الرسائل التى بعثتها وبطائق البريد عن الوصول الى ما بعد رجوعنا باسبوع واكثر ، مع ان البطائق ترسل عادة من غير غلاف ولا يمكن ان يكتب فيها ما يضر بسياسة البلاد التى تبعث منها لانها مكشوفة معرضة للقراءة والاطلاع على محتواها الذى لا يعدو ان يكون تحية واعجابا بالبلاد والمناظر التى تمثلها تلك البطائق . . . ولكن هذه وجهة نظرنا نحن ، وللمقوم وجهة نظر اخرى .

واختم هذه المقالات بتحية كل الذين لقيناهم وتعرفنا بهم فى رحلتنا هذه وشكرهم على ما قابلونا به من حسن لقاء وكرم ضيافة ، واخص منهم سماحة المفتى ضياء الدين باباخانوف الذى حلالى ان اخاطبه ونحن فى السيارة بطريقنا

الى مطار موسكو للعودة بهذين البيتين اللذين ضمنتهما بعض اسمه على سبيل التلميح :

وداعـا يـا ضيـاء الديـن
وشـكـرا أعظـم الشـكـر
لكنت لنـا (أبـا) و (أخـا)
أبـا مـشـوى اخـابـر

فاجابنـي بقولـه من نفس الوزن ولكن مع تغيير القافية :

وكـنـتـم خـيـر اخـوان
عـلـى بـعـد لاوطـان
وان قـصـرت فـى حـق
فـمـعـذرة لـخـلانـي

من حديث الحج

بعض القراء ينتظرون منى ان اكتب عن انطباعاتى ومشاعرى فى رحلة الحج الاخيرة التى قمت بها على راس الوفد المغربى الرسمى بتعيين من جلالة الملك المعظم الحسن الثانى نصره الله ، وانا افضل ان اكتب عن مشاهداتى وملاحظاتى فى هذه الرحلة لان العواطف والتاثرات قدر مشترك بين جميع الحجاج وهو لا يمث بصلة الى الاصلاح والتطور الذى نريده ونحرص عليه . بخلاف المعطيات والافكار التى تنشا عن التامل والاعتبار فانها شىء عملى ويمكن ان تؤدى الى نتيجة ايجابية فى تجديد دعوة الاسلام وانبعاثها الذى هو مقصد الجميع .

ان من الظاهرات المحسوسة ان الاقبال على الحج فى السنين الاخيرة اصبح فى تزايد مستمر ومنذ اكثر من عشر سنين بلغ عدد الحجاج الواردين من الداخل والخارج مليونا كاملا . اما الان فان العدد يدلف الى استكمال المليون والنصف . ومن البديهى ان استقبال هذا العدد الكبير حين يفد فى وقت واحد على اى بلد

يلزم له استعداد اكبر فما بالك اذا كـان البلد محـدود الامكانيات وكانت الاماكن التى لا بد ان يجتمع فيها ذلك العدد من الناس تضيق حتما عن استيعابه . ودع عنك عامل الجو والمناخ الذى يتبـدل على اكثريـة الحجـاج فيتعرضون لاصابة الشمس الخطيرة وعلى الاقل يتاثرون بحرارة الطقس واختناق الانفاس فيصابون بالحمى والنزلات الشعبية وما الى ذلك .

ويقتضينا الانصاف ان نقـول ان التجهيز الصحى الذى تقوم به الحكومة السعودية هو فوق الوصف وبذلك تؤمن الامراض والاوبئة العامة ويكون الموسم سالما .

وكذلك التموين بانواع الاغذية والماء الذى كان قبل قليلا ويباع باعلى الاثمان هو اليوم اوجد شىء ، وضروريته فى مثل عرفات ومنى وبقية المشاعر مما لا تحتاج الـى التنبيـه .

يضاف الى ذلك الامن العام فـان الاستقرار الذى تتمتع به العربية السعودية والسهر على سلامة الحجاج فى اقامتهم وتنقلهم وحرية تصرفهم وعـدم التعرض لهم حتى مع اخلال بعضهم بالنظام هو مما تهنا عليـه حكومة البلاد ويشد من اجله على ايدى رجال الامن فيها بحرارة .

لكن الصعوبة التى تعترض الحجاج فى اداء بعض المناسك واهمها رمى الحجار بمنى هـى مما يجب حتما

التفكير فيه وايجاد حل سريع لها قبل استفحال الخطر الذى اقله ازهاق بعض الارواح نتيجة للتزاحم والتدافع وركوب بعضهم رقاب بعض ووطئة بالارجل حتى يخفت نفسه .

ان فتح طريق للانصراف من وراء الجمرة الثالثة هو مما لا مندوحة عنه وان تنظيم المرور او الجواز باصح تعبير الى مكان الرجم هو ايضا ضرورة تقتضيها المحافظة على سلامة الحجاج وراحتهم وعلى اداء هذا الواجب الذى هو ختام الحج بسكون وشىء من الخشوع.

واؤكد ان ما تقوم به الحكومة السعودية فى هذا الصدد ولو صحبته وسائل زجرية هو مما يقابل باستحسان من جميع الحجاج وحكومات بلاد الاسلام .. فليس ثم عاقل فضلا عن فاضل يقول بامكان رمى مليون ونصف مليون من الحجاج للجمرات الثلاث فى ساعة واحدة فتقنينهم اذن وتنظيمهم افواجا افواجا هو مما يجب تعبئة عدة وحدات من الجيش والشرطة له حفاظا على الامن ومنعا للفوضى قبل كل شىء .

ثم هناك اماكن الاقامة سواء فى مكة او المدينة او منى وبقطع النظر عن الاستغلال الذى يرتكبه اصحاب هذه

الاماكن من مطوفين وغيرهم وقد بدا سافراً فى هذا العام الذى ارتفعت فيه أثمان الايواء والسكنى بشكل مريع، أقول نقطع النظر عن هذا فان ضيق الاماكن ووخامتها وانعدام شروط الصحة فيها وتكديس الاعداد العديدة فى البيت الواحد الضيق المظلم مع تصاعد الابخرة والروائح المنتنة من الكنف البدائية التى فات اوانها حتى فى مجاهل افريقيا وآسيا، ان هذا مما يجب على الحكومة والسلطات المحلية ان تتدخل فيه وتراقبه وتمنعه لانه يؤثر على صحة الحجاج ويجعلهم وهذا هو المهم يلجاون الى الشوارع والطرقات ويزدحمون فى الاسواق ويلازمون المسجد فلا يخرجون منه لانهم يجدون انفسهم بدون ماوى الا ذلك الماوى الذى هربوا منه وقد صاروا يفضلون التسكع والتشرد على العودة اليه . ولا يخفى ان عدم ايوائهم الى مكان مريح وتزاحمهم فى الاماكن العامة هو مما يؤثر على صحتهم ايضا . فهم بين نارين، نار البيت الوخيم ونار التيه وعدم الاستقرار .

هنالك حقيقة لا يمارى فيها احد ، وهى ان النظام لابد له ممن يقبله ويلتزم به ، وجماهيرنا الاسلامية مع الاسف الشديد من ابعد الناس عن النظام والتقيد به .. فمن الناحية الدينية يقول الرسول (ص) اذا اتيتم

الصلاة فاتوها ، وعليكم السكينة والوقار فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا ، ولكن هؤلاء الجماهير اذا اذن المؤذن ، وقبل ان يؤذن المؤذن ، تجدهم يتزاحمون على ابواب الحرم ويتدافعون ، والباب الذى لا يحتمل دخول اكثر من عشرة اشخاص ، يكون عليه مآت من الذين ادبهم الرسول بذلك الادب الاسلامى ، وكلهم يريدون الدخول فى آن واحد ، ولا يسلم هذا لذاك ، ولا يتزحزح واحد منهم ن موضعه ليمر شخص ضعيف او شيخ كبير ، بل انهم ليعصرونه عصرا ويكادون يزهقون نفسه ، وهم مقبلون على بيت الله ويريدون الصلاة ويطلبون الرحمة والغفران !..

هذا مثال واحد من مخالفة تعاليم الاسلام فى المكان الذى يجب ان يتمسك بها اعظم التمسك . ومثال من مخالفة الانظمة التى تضعها الحكومة لصالح الجميع ، الوعاء الذى اعد فى كل ركن لرمى الأزبال فيه ، تجد بالقرب منه او بجانبه اكوام الفضلات والنفايات التى يطرحها الحجاج الميامين عن عمد خارج هذا الوعاء ويتركونها ضاحية تؤذى الناس بمنظرها ويجتمع عليها الذباب وتكون سببا لتعفن الجو وحدوث الامراض .. وهكذا لا يطيع الناس اوامر الدين ولا اوامر الحكام الساهرين على راحتهم .

ولقد تحدث جلالة الفيصل يوم ثانى العيد ، عند جلوسه لقبول تهانى الوفود عن النظام وما يطالب الناس به فى هذا الصدد ، فقال اننا نقوم باكثر مما يطلب منا ، ولكن ما الحيلة وعدد الحجاج كثير يزيد كل عام .. وسكت ! وكانى به يريد ان يقول شيئا من هذا الذى ذكرته ، ولكن ادبه الملوكى منعه من ذلك !

ولعل اكثر الذين يخرقون النظام هم اولئك الاعراب الذين ياتون جماعات جماعات ، جاعلين يدا فى يد ، فيتقدمون الى الحجاج كالدبابات ، يصدمونهم ويكزونهم بمرافقهم وقبضات ايديهم فى جنوبهم وصدورهم ، ويشتتون شملهم ، فيفرقون بين المرء وزوجه والولد وامه ، وبين المطوف ومن فى رفقته من الحجاج ، وذلك فى الطواف ، نعم فى الطواف بالكعبة المشرفة ، وفى السعى بين الصفا والمروة ، وفى رمى الجمار بمنى ، فاى حج لهؤلاء ؟ والويل كل الويل لمن انكر عليهم او حاول مقاومتهم ! انهم فيما يظهر يعتقدون انهم اهل البلاد والجميع اجانب واغلون عليهم — ولعلهم يرون انهم واغلون عليهم حتى فى الدين ، ولذلك يستحلون إيذاءهم .

ان هؤلاء يجب ان يوقفوا عند حدهم ويفهموا بكل وسيلة ، ولو كانت وسيلة العنف ، ان البيت بيت الله وأن الحجاج . وفد الله ، وان لا حق لاحد في مشاهد الحج اكبر من حق الاخر ، ولو كان من كان .

ويلى هؤلاء فى الجفاء واساءة المعاملة للحجاج السوادين وبعض الاعاجم .

واعتقد انه لا مناص من تنبيه هؤلاء الذين يعدون طورهم ، وارشادهم الى وجوب اتباع الاداب الدينية والعامة ، بواسطة المذياع والصحافة ، وتوزيع المنشورات عليهم بسائر اللغات ، وانذارهم بان الذى يثبت عليه شىء من هذه المخالفات ، او يضبط متلبسا بها ، فانه يعرض نفسه للعقاب . بل انى اذهب الى ابعد من ذلك وارى ان تعد اوراق تشتمل على ادب الحج والسلوك فى البقاع المقدسة وتحذر من ارتكاب كل ما يخل بالنظام او يوذى العموم ، وتقدم هذه الاوراق لكل حاج يطلب التاشيرة للدخول الى البلاد العربية السعودية فلا يحصل على التاشيرة حتى يلتزم بها .

وهذا فى حجاج الخارج ، واما حجاج الداخل من الاعراب ، فيجب ان يتعلموا ادب معاملة الضيوف قبل كل شىء ، وقد كان الضيف عند العرب حتى فى الجاهلية

معززا مكرما ، ثم ادب الحج ، ويجرى عليهم بعد ذلك ما يجرى على غيرهم من زجر عند مواقعة شيء من تلك الجهالات .

ومما يتصل بالنظام ويساعد عليه ، ويكون عاملا من عوامل انتشار النظافة التى هى اساس الدين والتى تعمل الحكومة السعودية على انتشارها كل ما فى وسعها ، ان ينجز تعبيد الساحات المتصلة بالحرم ، وترفع منها انقاض البناء المتراكمة ، وتبلط بعد تجهيزها بقنوات صرف المياه . وتخطط طرق المرور بها على النظام المعمول به فى كافة انحاء الدنيا ، ويمنع وقوف السيارات بها ، واستعمال المنبه الذى يتبارى السائقون فى ازعاج المارة والسكان به . واذا كان من الممكن ــ ولا ارى ذلك ممتنعا ــ ان تشجر جوانب هذه الساحات جلبا للظل وعملا على تلطيف الجو ، فان هذا مما يكون له احسن الاثر في النفوس، ويحقق الاغراض التى تهم الجميع من اقرار النظام وتعميم النظافة وتسيير اسباب الراحة للحاج ، لا سيما اذا وضعت او بنيت بعض الكراسى العمومية بجوانب الساحات وظللت ريثما تنمو الاشجار وتترعرع .

ان هذا ليس خيالا ولا امرا عسيرا على الحكومة السعودية التى ادخلت من الاصلاحات على مواطن

الحج ما لم تقم به الخلافة العثمانية على عظم شانها وسعة امكانياتها . وناهيكم بالزيادة الكبرى فى المسجد الحرام التى اصبح المسجد بفضلها يستوعب اضعاف ما كان يستوعبه قبل من المصلين .

فامر هذه الانجازات بالنسبة الى ذلك يسير ، وان كان ما يترتب عليه من الفوائد جد كبير . اما الذى لا يصح بقاؤه والتغاضى عنه ، فهو ترك هذه الساحات على ما هى عليه من عدم التسوية ، ومن المناظر المؤذية، ومن فوضى المرور ، وهى اول ما يواجه الحاج عند اقباله على بيت الله ، وتهيئه لاداء الركن الخامس من اركان الاسلام ... فسرعان ما يتسخ احرامه وتغبر قدماه وسائر جسمه ، وربما تتقزز نفسه ، ان كان ضعيف الايمان او دقيق الاحساس على الاقل ، خاصة اذا تذكر ما تركه فى بلاده او فيما مر به من بلدان اجنبية من ساحات عمومية تبعث على الانشراح وتشيع البهجة فى النفوس ، فكيف يقبل ان تكون أفنية بيت الله الحرام وجوانبه وعرصاته ، مرمى للازبال وحفرا أو كدى تتعثر فيها الاقدام ، وغدرا للمياه الآسنة ، ومثارا للغبار الذى يقتحم العيون والانوف بدون استيذان ؟

اننا نعلم ان العمل فى المسجد الحرام لم ينتـــه بعد ، وربما كان ذلك هو السبب فى عدم تعبيد ساحاته وتخطيط الطرق المؤدية اليه ، ولكن بطء العمل فـى المسجد يجب ان لا يستتبع انجاز تعبيد الساحات ، لان امرها اهم ، ولان انجازها سيضفى على عاصمة الاسلام مـا هي جديـرة بـه في نظـر كـل مسلـم من الروعـــة والجلال .

يضاف الى هذا اصلاح بسيط فى المسعى الـذى اهتمت به الحكومة السعودية ونظمته تنظيما اطلق السنة المسلمين كافة بالشكر والثناء عليها ، وهذا الاصلاح هو تفريج جانبى المروة ليكونا مثل جانبى الصفا متسعين لوقوف الحجاج ، فانهما بحكم تكاثر الحجاج يضيقان كل الضيق ويقع فيهما تزاحم كبير يسبب كثيرا مـن العنت للضعاف من الحجاج .

وان انسى شيئا فـلا انسى المزدلفـة التى يطلب ان تهيأ لمبيت الحجاج المرغوب فيه ، والذى ترك مـــن زمان ، لا ادرى لعدم الامن او لغيره من الاسباب . اما الان ، والحمد لله ، فان الامن مستتب والخيـــرات مبذولة ، ووسائل النقل متوفرة ، فماذا يمنع مـــن العمل على احياء هذه السنة ، والحكومة السعوديـــة

المتسننة فعلا والأخذة بعزائم الدين لأحب اليها من تحقيق اداء المناسك على اكمل وجه واحسن صفة ؟

انا اعلم ان اصحاب السيارات هم من اكبر الموقين للحجاج عن العمل بهذه السنة ، لانهم يستحثونهم على الرجوع الى منى حالا ، ويتعللون لهم بشتى العلل ، فالمطلوب ان يقع تدبير هذا الامر بما لا يضر اصحاب السيارات ولا يحرم الحجاج من الخير الكثير الذى فى المبيت بمزدلفة والدعاء عند المشعر الحرام وصلاة الصبح بها وفق السنة .

ومن العوامل الاساسية فى كثرة حجاج الخارج على ما اظن ، التجارة . ذلك ان حرية الاستيراد فى المملكة السعودية وانخفاض الواجبات الجمركية او عدمها بالمرة ، جعلت انواع البضائع تتكدس هناك فى الاسواق بكيفية ملفتة للانظار ، وباثمان لا تقبل المزاحمة . ولا سيما الحريريات والمجوهرات وادوات التصوير والراديو وما الى ذلك مما يستهوى النساء والرجال على السواء . فلذلك تجد الشخص يحج اعواما متوالية ، عاملا لدنياه وآخرته معا ، فى آن واحد ، فاى سعى مثل هذا ؟

ولكننى اظن انه لو اقفل باب التجارة هذا ، بفرض الجمركية المعتادة فى البلاد الاخرى ، على السلع

المستوردة ، لما بقى الحافز الدينى وحده باعثا للكثير من هؤلاء الحجاج على التردد كل عام الى الحجاز .

وانا لا اطعن فى الجمع بين التجارة والحج ، وانما اسجل ظاهرة وابرز سببا لكثرة الاقبال على الحج من طائفة معينة من الناس ، وهم التجار ، بل ممن استهواهم هبوط الاسعار ولو لم يكونوا من التجار ، فاقبلوا على التبضع من مختلف العروض التجارية ونشأ عندهم الميل الى الاتجار واصبحوا من زبائن الدور التجارية ـ الكبيرة ـ فى مكة والمدينة وجدة ، وممن المترددين على البلاد السعودية بسبب ذلك فى موسم الحج وموسم العمرة ورمضان وهلم جرا .

وللنساء فى هذا المجال مشاركة ملحوظة ، واخص بالحديث نساء المغرب ، فكلنا يعلم ما يحدثه بريق الثياب الرفيعة والحلى فى نفس المراة ايا كانت ، ثم اذا اضيف الى ذلك رخص الاثمان فان الاغراء يبلغ منتهاه . وهكذا يمكن للانسان أن يرى تهافت سيداتنا الحاجات على الاسواق اثناء الحج وبعده ، ويسمع لفطهن المختلف النبرة الدال على المدن والنواحى التى ينتمين اليها ، وهن يماكسن الباعة وياخذن ويعطين ، مما يجعلك تتخيل انك فى قيسارية من قيساريات

فاس او الدار البيضاء ، لا يختلف الامر الا فى حجم البضاعة الذى يفوق اضعافا مضاعفة ما يقتنين فى تلك القيساريات ، لانهن هنا تاجرات وعلى احسن الاحتمالات متبضعات لانفسهن ومن اوصاهن من الصديقات وافراد الاسرة .

والخطير فى الامر ، ان مزاولة التجارة فى البضائع، تفتح الباب لمزاولتها فى شىء اخر يشارك البضاعة التجارية فى حروفها ، وذلك طبعا عند من لا رقيب عليهن ولا وازع لهن من خلق او دين ، وقد سمعت كثيرا عن وقائع وحالات يندى لها الجبين حياء وخجلا وتلطخ اسم المغرب خزيا وعارا ، لا مع ا لتجار فقط بل مع بعض المطوفين والموظفين وطبقة اخرى اعلى من هؤلاء .

وهنا نتذكر تعاليم الشرع الحنيف واحكام الفقه فى سفر المراة وحدها من غير ان تكون فى صحبة زوجها او محرم منها فنعلم السر فى منع ذلك وحكمة التشريع الاسلامى التى تدور على حفظ كرامة المراة وطهارة المجتمع وصيانة الاعراض والانساب .

ولذلك فانى اهيب بذوى المروءة والدين وبالاسر الكريمة ان لا يتساهلوا فى ارسال نسائهم وبناتهم الى

الحج من غير ان يصحبوهن بانفسهم ، فان الذئاب المترصدة لهن ولو فى تلك المقامات المعظمة ـ لا ثقة بها ولا تومن غوائلها .

وفى نظرى ان ما يذكره الفقهاء من جواز سفر المراة الى الحج فى القافلة المامونة ، ينبغى ان يعاد فيه النظر فان هذه القافلة لا توجد اليوم لكثرة الشرور ، وغلبة الفجور .

وحبذا لو اتخذت الحكومة قرارا فى هذا الشأن بحيث لا تأذن بسفر الحج للمراة الا اذا كانت فى صحبة زوجها او ذى محرم منها لا غير ، لتغلق هذا الباب من الفساد ومن الدعاية السوء للمغرب ومن القيل والقال .

هذا والامر المؤسف حقا فى موسم الحج واجتماع هذا العدد الضخم من المسلمين الذين يمثلون كل الشعوب والدول الاسلامية ، ليس هو فقدان التنظيم المادى لشؤونهم ، والفوضى التى تسيطر على مباشرتهم لهذه الشعيرة من شعائر الاسلام ، وانما هو ضياع الفرصة الثمينة التى يتيحها لهم هذا الموسم العظيم وعدم استغلالها لعقد مؤتمر سنوى للتعارف واحكام الصلات ، والنظر فى المشاكل التى تواجه العالم

الاسلامى ولـو من وجه عـام لا يختلف فيه احـد ، فان ما لا يدرك كله لا يترك كله .

اننا نعلم ان علاقات بعض الدول الاسلامية فيمـا بينها ليست بذاك ، وان البلاد التى تحتضن الحرمين الشريفين لها سياسة خاصة لابد من مراعاتها بحيـث لا تتخذ منطلقا لمهاجمة هذا الجانب او ذاك ، كما رايته مرة فى احد الاجتماعات التى كانت تنظمها بعض الهيآت هناك ، ولهذا فان الحكمة والتبصر وحسن التاتى للامور تقتضينا كلها ان نسدد ونقارب ، ونجتمع على ما فيـه مصلحة الجميع ونبدا بالاهم فالاهم ، فالدين الاسلامى نفسه انما شرع تدريجيا والقرآن الكريم كان ينـزل منجما بحسب الوقائع ، ولو جاء الشرع والتكليف دفعة واحدة لما تحمله احد ولفشلت الدعوة من اول يوم ، وصدق الله العظيم اذ قال فى الرد على الكفار الذيـن استنكروا سياسة التدرج هذه « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ؟ كذلك ! لنثبت بـه فؤادك » والان يريد البعض منا ان نقلب الدنيا راسا على عقب وان نشبها ثورة عارمة ، ولكن بالكلام فقط والحمل على كل من لم يعتنق فكرتنا ولم يذهـب مذهبنا ، ـ وهذا هو ما يفرق كلمة المسلمين ويدخل

الخلل على صفوفهم ، ويمنعهم من كثير من الخير ومن العمل النافع . وهكذا فاما مؤتمر لا يبقى ولا يذر ، واما لا شيء . وهو الغلط بعينه .

لقد كانت هناك اجتماعات من مستويات مختلفة ، وفى طليعتها مادبة العشاء الرسمية التى يقيمها جلالة الملك فيصل آل سعود تكريما لوفود الحج ، والتى تتميز بالخطاب الملكى العامر ، ويحضرها كبار القوم ، وتتجلى فيها وحدة المسلمين باجلى مظهر .

ومنها بعض الاجتماعات التى يدعو اليها سفراء بعض الدول الاسلامية او رؤساء بعض البعثات الرسمية للحج ، وقد كان من اعظمها هذا العام ، الاستقبال الذى دعت اليه سفارات المغرب العربى مجتمعة ، واقامته فى جدة ، وكان للسفير الجزائرى سعى مشكور فى تنظيمه .

ولكن كل هذه الاجتماعات لا تغنى عن المؤتمر المطلوب لانها لا تتمخض عن نتيجة ايجابية ، ولا تدرس فيها عمليا اية مشكلة من مشاكل المسلمين .

وتدعو رابطة العالم الاسلامى ، وهى المؤسسة التى لا ينكر احد مجهوداتها الصادقة فى خدمة الاسلام ، الى بعض الاجتماعات الخاصة ، ويلقى فى مقرها بمكة

المكرمة ، نخبة من العلماء بعض المحاضرات الهامة فـــى
مواضيع اسلامية ، وهو عمل مفيد لا شك فيه ، ولكنه
لا يكتسى الصبغة الجماعية التى تكون للمؤتمرات ، فلو
ضم هذا الجهد الى مساعى السفراء ورؤساء البعثات
الرسمية للحج ، ومن يمكن ان يستفاد منه ، من بعض
القادة الذين يوجدون فى موسم الحج ، لسهل تنظيم
مؤتمر فى اعقاب الموسم كـل سنـة ، يكتسى طابــع
الاجتماعات العامة الهادفة ، ويسد الفراغ الذى يشعر
به كل مسلم غيور فى تلك المظاهرة الاسلامية العظيمة ،
ولتحقق حينئذ القصدان اللذان تشير اليهما الايـــة
الكريمة (ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله) .

ولقد آلمنى منظر مبعوثـى منظمـات الـفـدا
الفلسطينية ، بابواب المسجد الحرام وبعض الساحات ،
وهم يدعون الناس الى التبرع ومساعدة المجاهدين ،
ولو كان امرنا منظما كما يجب ، وكان مؤتمر الحــج
يعقد على الصفة التى ذكرتها ، لكفى اخواننا الفدائيين
هذه المهمة على احسن وجه ، وعمل اشياء كثيرة لصالح
فلسطين والبلاد الاسلامية بعامة . والامر لله .

وبعد ، فماذا عن الوفد الرسمى واعماله فى رحلة
الحج هذه ؟

لقد كان الوفد مؤلفا من 16 عضوا وهم بالاضافة الى الرئيس كاتب السطور ، السيد فتحى النجارى مدير ديوان وزير الخارجية والشريف مولاى مصطفى ابن زيدان نقيب الشرفاء العلويين بمكناس ، والسيد اليعقوبى بن عمرو عامل اقليم سطات ، وفضيلة العلامة سيدى محمد بن عبد السلام الطاهرى ، استاذ بجامعة القرويين ، وفضيلة الاستاذ السيد محمد بن حماد الصقلى استاذ بدار الحديث ، والاستاذ الشريف السيد الفاطمى الادريسى وكيل الملك بالمحكمة الاقليمية بطنجة وفضيلة الاستاذ السيد الفاطمى الكتانى استاذ بكلية القرويين والسيد محمد عمور مستشار بالمجلس الاعلى للقضاء والاستاذ السيد محمد بن عمرو الخطيب الرسمى لصاحب الجلالة ورئيس قسم بوزارة الاوقاف ، والسيد محمد بن عبد الله رئيس قسم بوزارة المالية ، والسيد محمد عبد الصمد الخمليشى واعظ متجول والسيد الشيخ ولد سيدها ، والسيد احمد الكردودى ، والسيد الحاج احمد بنانى .. هكذا وردت اسماؤهم فى اللائحة الرسمية التى سلمت الى .. ولتمام التعريف بالثلاثة الاخرين (بكسر الخاء) اقول ان السيد ولد سيدها من وزارة موريطانيا والصحراء والسيد الكردودى من وزارة

القصور الملكية والسيد احمد بنانى هو مدير التشريفات الملكية السابق والكاتب المعروف .

وقد كان الوفد قابل جلالة الملك مساء يوم الخميس ٢٥ ذى القعدة ١٣٨٨ الموافق ٣ يبراير ١٩٦٩ وسافر يوم الاثنين ١٧ يبراير بعد الزوال من مطار سلا . وكان فى وداعه السيدان وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الحاج احمد بركاش وعامل الرباط وسلا مولاى عبد السلام الوزانى وسعادة سفير المملكة السعودية وعدة شخصيات وافراد من اسر الحجاج . وتوقفت الطائرة فى مطار طرابلس عند الغروب حيث استقبلنا سفيرنا بليبيا السيد عبد اللطيف العراقى ووزير العمل الليبى الذى ابدى حفاوة كبيرة بالوفد . ثم واصلت الطائرة سيرها الى جدة التى وصلناها عند منتصف الليل واستقبلنا هناك سفيرنا بالعربية السعودية الاستاذ عبد الرحمان بادو وموظفو السفارة .

ومن الغد مساء توجهنا الى مكة المكرمة التى اقمنا بها خمسة عشر يوما قضينا خلالها مناسك الحج والعمرة، وقمنا بعدة اتصالات مع هيات وشخصيات عديدة . وكان من اهم اعمالنا فى هذه المدة ما يلى :

توزيع الصدقات والهبات على الضعفاء والمستحقين،

امداد صندوق الاغاثة الفلسطينية الموضوع في بنك الرياض بمكة بمبلغ مالي هام ، تفقد احوال الحجاج المغاربة والبعثة الصحية المغربية ومساعدة من رأيناه في حاجة الى المساعدة من حجاجنا الميامين . المشاركة في حفلة غسل الكعبة المشرفة الى جانب جلالة الملك فيصل والوزراء السعوديين وسفراء البلاد الاسلامية ورؤساء وفود الحج ، الحضور في مادبة العشاء الرسمية التى اقامها الملك فيصل تكريما لوفود الحج ، تهنئة الملك فيصل بعيد الاضحى في قصره بمنى يوم ثاني العيد، وقد احتل وفدنا مكان الشرف الى يمين جلالته بينما كان عن يساره السيد صائب سلام الوزير اللبناني فسماحة المفتي الحاج امين الحسيني . وتحدث الملك الى رئيس الوفد وساله عن جلالة الملك المعظم الحسن الثاني واستفسره عن احوال المغرب فاجابه الرئيس بابلاغه تحيات جلالة ملكنا الاخوية ومتمنياته لجلالته وللشعب العربي في المملكة السعودية الخ . . الترحم على جلالة الملك الراحل محمد الخامس بالحرم المكي بعد صلاة العشاء يوم الاحد ثالث عشر ذى الحجة مع سعادة مدير لتشريفات مولاى حفيظ وسعادة الكاتب العام لوزارة الشؤون الاسلامية الاستاذ عبد الرحمان الدكالي وجمهور من الحجاج المغاربة .

مقابلة جلالة الملك فيصل بجدة يوم الاثنين ١٤ ذى الحجة وتسليم رسالة جلالة ملكنا المعظم اليه باعتماد الوفد ، وقد حضر المقابلة سفيرنا بالمملكة السعودية ووزير خارجيتها ، وكانت هذه المقابلة هامة جدا ، واستمرت زهاء ٣٥ دقيقة ودار الحديث فيها عن الوضع فى العالم العربى والقضية الفلسطينية ، وكان حديث العاهل السعودى فى منتهى الصراحة مما يدل على ثقته العظيمة بوفد جلالة الملك ، وختم الحديث باعرابه عن تقديره الصادق ومودته الخالصة لملكنا الهمام .

وفى المدينة المنورة الى جانب الزيارة والوقوف على المشاهد المباركة ، قمنا بتوزيع الصدقات والهبات ، واتصلنا بكثير من الشخصيات الاسلامية وزرنا الجامعة الاسلامية الناهضة على حداثتها وتعرفنا ببعض اساتذتها وامينها العام الاستاذ محمد العبودى .

وقد أقمنا بالمدينة اسبوعا كاملا من يوم الخميس ١٧ ذى الحجة الى الخميس الموالى ، ومن اهم ما لاحظناه ان العناية بها وبالحرم النبوى والساحات المكتنفة له ، قد بلغت الغاية ، فحركة البناء وتوسيع الطرق قائمة

على قدم وساق ، والنظافة احسن منها فى مكة ، مما يكم افواه المتقولين على اولى الامر فى الحجاز الذين يزعمون انهم يهملون المدينة عن عمد واصرار .

هذا وقد عدنا الى جدة يوم الخميس ٢٤ ذى الحجة الموافق ١٣ مارس ، وغادرناها ضحى يوم السبت الموالى اتصالا على متن الطائرة التى وصلت بنا الى سلا مساء بسلامة الله .. جعله الله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وحفظ جلالة الملك المعظم الحسن الثانى بما حفظ به الذكر الحكيم وجازاه عنا احسن الجزاء وكتب لنا العودة الى تلك المقامات مرارا وتكرارا بفضله ومنه آمين .

رسالة اعتماد الوفد

بعد الافتتاح والطابع بداخله (الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن الله وليه)

الى حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فبمناسبة حلول الحج الاكبر وسفر طائفة من رعايانا الاوفياء الى البقاع المقدسة لحج بيت الله

الحرام ، وزيارة قبر الرسول عليه السلام ، عينا جريا على العادة المأثورة عن اسلافنا المنعمين من قديم ، وفدا برياسة فضيلة الاستاذ السيد عبد الله كنون لتمثيل جنابنا ومملكتنا فى موسم الحج لهذه السنة .

وقد كلفنا وفدنا ان يبلغ جلالتكم تحياتنا ويعبر لكم عن اشواقنا ويؤكد لكم اعتزازنا بصداقتكم وتمنياتنا لكم بالصحة والسعادة والتوفيق ، ولمملكتكم بمزيد التقدم والرفاهية والرخاء .

وانا لموقنون من ان وفدنا وحجاج مملكتنا سيكونون مشمولين برعاية جلالتكم جريا على كريم عادتكم من حسن الضيافة خلال مقامهم ببلدكم المقدس العزيز .

وحرر بالقصر الملكى بالرباط فى ٢٩ ذى القعدة ١٣٨٨ موافق ١٧ يبراير ١٩٦٩ .

لائحة باسماء اعضاء الوفد زيادة على الرئيس المذكور

١) السيد فتحى النجارى ، مدير ديوان وزير الخارجية

٢) الشريف مولاى مصطفى ابن زيدان ، نقيب الشرفاء العلويين بمكناس

٣) السيد اليعقوبى بن عمرو ، عامل اقليم سطات

٤) فضيلة العلامة سيدى محمد بن عبد السلام الطاهرى ، استاذ بجامعة القرويين

٥) فضيلة الاستاذ السيد محمد بن حماد الصقلى ، استاذ بدار الحديث

٦) الاستاذ الشريف السيد الفاطمى الادريسى ، وكيل الملك بالمحكمة الاقليمية بطنجة

٧) فضيلة الاستاذ السيد الفاطمى الكتانى ، استاذ بكلية القرويين

٨) السيد محمد عمور ، مستشار بالمجلس الاعلى للقضاء

٩) الاستاذ السيد محمد بن عمرو ، الخطيب ورئيس قسم بوزارة الاوقاف

١٠) السيد محمد بن عبد الله ، رئيس قسم بوزارة المالية

---

١١) السيد عبد الصمد الخمليشى ، واعظ

١٢) السيد الشيخ ولد سيدها

١٣) السيد احمد الكردودى ، الكاتب بوزارة القصور الملكية

١٤) السيد الحاج بنانى مدير التشريفات الملكية سابقا .

المؤتمر الاسلامي الدولي بماليزيا

عقد هذا المؤتمر كما هو معلوم بكوالالمبور عاصمة ماليزيا من 21 ابريل 1969 الى 27 منه. وكان على مستوى الحكومات لانه خلف مؤتمر القمة الذى دعت اليه الحكومة الماليزية اولا، ولكن الظروف لم تساعد على انعقاده.

شارك فيه ثلاث وعشرون دولة اسلامية ، هي المغرب وافغانستان والجزائر والهند واندونيسيا وايـران والاردن والكويـت ولبنـان وليبيا وباكستـان والعربيـة السعوديية والصومال وجنـوب اليمـن والسـودان وتونـس وتركيـا والجمهورية العربية المتحدة وسيلان والفيلبين وسنغافـورة والطايلاند والدولة الداعية بالطبع وهى ماليزيـا . وكانت بعض الوفود برياسة وزراء وبعضها الآخر برياسة رجـال من ذوى المسؤولية . سفراء ومفوضين وغيرهم.

ويلاحظ ان اكثرية الدول المشاركة من آسيا ، وان بعض الدول وان لم تكن اسلامية قانونا كالهند والفلبين ، فانها قد شاركت باعتبار انها تضم عددا من المـواطنيـن المسلمين .

وقد افتتح المؤتمـر جلالة ملك ماليزيـا السلطـان اسماعيل ناصر الدين شاه بخطاب عبر فيه عن سروره

باجتماع وفود الدول الاسلامية فى بلاده ، وأشاد برسالة الاسلام التي احتضنت العلم ودعت إليه فى اول سورة نزلت من القرآن ، ورجا من المؤتمرين ان يكون حبيب البحث والابتكار حاديهم فى مناقشة ما يعرض عليهم من مشاكل.

وبعد فترة استراحة وانصراف جلالة الملك القى معالى نائب رئيس وزراء ماليزيا الحاج تون عبد الرزاق بن حسين خطابا(1) توجيهيا هاما. ثم تتابع رؤساء الوفود فى القاء كلماتهم التي حيوا فيها المؤتمر وحكومة ماليزيا وشعبها الكريم ونوهوا بما يهدف اليه هذا المؤتمر من جمع كلمة المسلمين ، ومناقشة مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها على الصعيد الرسمي لاول مرة ، وتمنوا له كامل النجاح .

وتلا ذلك انتخاب رئيس المؤتمر ، وهو الحاج داتو عبد الرحمن بن يعقوب وزير الاراضى والمعادن فى حكومة ماليزيا ، الذى كان قد زار المغرب فى السنة الماضية على رأس وفد للدعوة الى هذا المؤتمر والتعريف بأهدافه. كما زار بلدانا إخرى للغاية نفسها ، وهو الذى رأس اللجنة التحضيرية للمؤتمر وسهر على تنظيمه واعداده .

---

1) تنظر كلمتنا فى آخر الحديث.

ثم وقع عرض جدول الاعمال واقـراره ، وانتخـاب رؤساء المجنتين الكبيرتين اللتين انقسـم اليهما المؤتمـر باقتراح المغرب ، على ان تتقاسما فيما بينهما موضوعات الجدول. وكانت المذاكرة قد جـرت فـى ذلك قبل يـوم الافتتاح فى لجنة تمهيدية عقـدت مـن رؤسـاء الوفـود . والمفروض كان هو انقسام المؤتمر الى عشر لجـان بعـدد الموضوعات المطروحة عليه للمناقشة ، فلاحظت إن تفتيت المؤتمر بهذا الشكل يجعل اللجان صغيرة ويوزع كفاءات الوفود على نحو لا يستفيد منه المؤتمر ، فالاولى ان يتوفر لدراسة كل موضوع اكبر عدد ممكن مـن الاعضـاء حتـى يمكنهم ان يبتوا فيه بما يشبه الاجماع لا سيمـا وامامنـا اسبوع للعمل وليس فى جدول الاعمال الا عشرة مواضيع فأخذ برأى المغرب ، ولم ينتخب يومئذ الا عشـرة افـراد لتداول رياسة ـ اللجنتين اللتين تكونتا باختيار الاعضاء بعد تقسيم الموضوعات عليهما كما يلى :

(اللجنة الاولى) الصوم وعيد الفطـر ، نقـل العيـن والقلب ، الزكاة ، قانون الاحـوال الشخصيـة - الدعـوة الاسلامية .

(اللجنة الثانية) الربا ، تحديد النسل ، التجـارة - التأمين - التربية والتعليم.

وكان من نصيب المغرب رياسة لجنة نقل العين والقلب . كما أنه رأس لجنة الصياغة التى تكونت من رؤساء الوفود باقتراح رئيس المؤتمر. وهى التى استخلصت القرارات من مناقشات اللجنتين واقرت صيغتها النهائية التى عرضت فى الجلسة العامة الختامية للمؤتمر. وفى هذه الجلسة ايضا ساعد مندوب المغرب رئيس المؤتمر بطلب منه فى عرض بعض القرارات بحكم انه كان رئيس لجنة الصياغة . وذلك لشرح بعض العبارات كما قال الرئيس والجواب عن استفهام بعض الاعضاء ، وان كان الرئيس فى الحقيقة قد اضطلع بمهمته كما يجب ، وكان يستبطن اسرار القرارات ، ويجيب عن كل سؤال يوجه اليه برغم عدم معرفته بالعربية ، وانه انما كان يقرأ القرارات فى ترجمتها الانكليزية والماليزية.

أما عن القرارات المتخذة بشأن ما عرض على المؤتمر من مسائل، فهى باختصار كما يلى :

I ــ رؤية الهلال وتوحيد يوم الصيام والافطار، قرر المؤتمر ان بداية شهرى رمضان وشوال تحدد اساسا برؤية الهلال الجديد. وأن البلاد التى تشترك فى جزء من ليلة بلد الرؤية تاخذ برؤية هذا البلد.. واذا تعذر الامران فى بلد ما ودل الحساب على تولد الهلال جاز العمل بالحساب.

كما حض المؤتمر على العناية بمراقبة الهلال وانشاء هيئة خاصة من العلماء لوضع تقويم اسلامى قمرى موحد.

2 ـ موضوع الربى ، قرر المؤتمر ان الربى حرام قليله وكثيره وان المعاملات المالية البنكية ذات الربح والفائدة لا تجوز الا اذا كانت خاضعة للربح والخسارة كما فى القراض. وأوصى بقيام بديل اسلامى من هذه الابناك وهو البنك الذى يؤسس على القاعدة الاسلامية المذكورة، والى إن يقدم هذا البديل فان التعامل مع الابناك الموجودة الآن انما يجوز فى حال الضرورة الموقوتة التى يتشوف الشرع الى رفعها فى اقرب الآجال.

وقد اجل هذا القرار الى مؤتمر آخر لزيادة البحث فيه ولم تقع الموافقة عليه.

3 ـ نقل العين والقلب وغيرهما. اجاز المؤتمر ذلك وأوصى بالتحرى فى الامر.

4 ـ التنظيم العائلى او تحديد النسل ـ رأى المؤتمر ان الهدف من تنظيم الاسرة يجب ان يكون زيادة حجمها لخدمة المجتمع الاسلامى وفى ظروف خاصة فان للآباء الحق فى تحديد عدد ابنائهم.

5 ـ الزكاة ، رأى المؤتمر ان الضرائب لا تغنى عن الزكاة، وأوصى بصرف حصة من الزكاة الى الجهاد والدفاع

عن حوزة الاسلام وهى المنصوص عليها فى آية الزكاة بقوله تعالى : «وفى سبيل الله» ورأى ان ترصد تلك الحصة الآن لاستعادة المسجد الاقصى والاراضى الاسلاميــة السليبــة واسعاف اللاجئين. وترك لكل بلد اسلامــى الحريــة فــى الطريقة التى يتبعها لذلك. كما اوصى بفرض رسم على الحج تستخلصه كل دولة من حجاجها ويضاف الى حصــة الزكاة ليصرف فى الاعمال الاسلامية الكبيرة.

6 ـ التجارة ، اوصى المؤتمر بتكوين لجنة من الخبراء لدراسة وسائل التعاون الاقتصادى بين البــلاد الاسلاميــة لتحقيق التكامل فى مجال الاقتصاد بين شعوب الاسلام ، وذلك بزيادة حجم التبادل التجارى بين الدول الاسلاميــة وتجنب التنافس فيما بينها الخ.

وقد ادلى مندوب المغرب ببيان ضاف عما هو قائم الآن بين دول المغرب العربى من ارتباطات اقتصادية متينة تتمثل فى التبــادل التجــارى وتنظيــم التجهيــز الصناعى واتفاقيات التعاون الثقافى وانشاء لجنة دائمة للسهر على مصالح المغرب الكبير ، واتخاذ موقف موحد من الســوق الاوروبية المشتركة ، وتنسيق الايــراد والتصــدير والغــاء الاداءات الجمركية وغير ذلك، ثم ما هو جار الآن من الاتفاق على انشاء شركة موحدة للطيران واخرى للملاحة،، كما المح

الى النهضة الصناعية الكبرى القائمة الآن فى المغرب بحيث ادت الى الاكتفاء الذاتى فى صناعة النسيج والتصدير منه والتقدم فى صناعة السمك المعلب والمسحوق وغيرهما . وكان لهذا البيان وقع حسن فى نفوس المؤتمرين، لاسيما وقد دعوت البلد المضيف الى فتح الباب فى هـذا الميـدان بالاتصال بسفارتنا او بايفاد وفد تجـارى الى المغـرب ، وتدشين عهد من التقارب بين بلاد الاسلام عـن طريـق التعاون الاقتصادى الذى هو اساس كل تفاهم سيـاسـى ووحدة منشودة.

ولا يخفى انه فى اعقاب المؤتمر خرج وفد اقتصادى من ماليزيا لربط الاتصال بينهـا وبين الاقطار الاسلاميـة المجاورة لها .

7 ــ قانون الاحوال الشخصية . قـرر المؤتمـر ان تعدد الزوجات تشريع اسلامى اصيل ، وان لم يمانع فى تنظيمه بما يكفل مصلحة الاسرة ، وان التبنى غير مشروع وان اوصى بالاحسان الى المتبنين كمـا اوصى بالاخـذ بالآداب الاسلامية فى بناء الاسرة وتكوين الناشئين .

8 ــ التأمين . لم يبح المؤتمر من انواع التامين الا التامين التعاونى ، والتأمين الذى تقوم به الحكومات من غير استغلال ولا ربى، وهى دعوة الى تأميم شركات التأمين المستغلة للشعب والمتعاطية للربى.

كما اوصى فى هذا الصدد بتشجيع التأمين الدولـى التعاونى بين البــلاد الاسلامية لدعــم التأميــن التعاونــى الاقليمى ، وبالنظر الى اهمية التجارة الدولية فان النوع القائم من التأمين الدولى يعتبر مؤقتا جائزا بحكم الضرورة.

9 ــ الدعوة الاسلامية ، دعا المؤتمر الى انشاء جمعية دولية للدعوة الاسلامية وتنسيق جهود الدعاة والجمعيات الموجودة فى العالم الاسلامى لهذا الغرض. ونشر التعاليم الاسلامية بين المسلمين انفسهم بما يتناسب مع التقــدم العلمى الحديث، وايجاد مؤسسة للدعــوة علــى الاصــول العلمية الخ.

10 ــ التربية والتعليم، قرر المؤتمر العناية بتحفيظ القرآن الكريم ودراسة المواد الاسلامية فى مختلف مراحل التعليم وتبادل الطلاب والاساتــذة بيــن معاهــد التعليــم الاسلامى وتوجيه اجهزة الاعــلام اتجاهــا يخــدم التربيــة الاسلامية ، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية ثانية للدول والشعوب الاسلامية غير العربية فى كل مكان .

وشيء عن ماليزيا

لست اكتب تاريخا ، ولا وصفا جغرافيا ، ولا اعطى ارقاما ولا استمد معلومات من كتاب يمكن ان يرجع اليه كل احد، وانما اكتب شيئا مما سمعته او رأيته فى هذا البلد الطيب تتميما لحديثى عن المؤتمر الذى عقد فيه .

ان دولة ماليزيا تتكون من اتحاد ولايات ، لكل ولاية منها حكومة اقليمية وسلطان يرأسها. وقد تكون هذا الاتحاد بعد استقلالها ، وهو الذى كانت تعارض فيه اندونيسيا او رئيسها السابق سوكارنو على الاصح . وقد نجح هذا الاتحاد فى حكم البلاد ودعم وحدتها الوطنية ، الامر الذى نتمنى ان يحذو حذوه ما يسمى بالامارات العربية المتصالحة فيبنى دولة ووطنا عربيا متحدا فى ذلك الجزء من بلاد العروبة العزيزة .

وملك ماليزيا ينتخب من بين سلاطين الولايات ، وهو يملك ولا يحكم، ومقره فى عاصمة الاتحاد كوالالمبور.

وهذه العاصمة من اجمل بلاد الله فى شرق آسيا ، مناخها حار ولكن الامطار التى تنزل فيها بغزارة ، تلطف الجو ، وتجعل منها ياقوتة خضراء ، فأينما ذهبت ترى النبات الغض والاشجار الملتفة وقطع الرياض المزهرة

والغابات تكسو الهضاب والمرتفعات التى تحوط المدينة ،
وان من احسن المناظر التى يراها الانسان ، منظر هذه
المدينة اذا اشرف عليها من بناية عالية او هضبة فى
ضاحيتها ، فانها تبدو له كبستان مخضوضر والبنايات
الجميلة المتناثرة هنا وهناك كأزاهير وورود متفتحة خلاله،
لا تمل العين من ترداد النظر فيه والتملي بجماله.

وهذه المدينة مثال فى نظافة شوارعها وتنسيق
بناياتها ، اذ انها مدينة حديثة ، وتشتمل على مؤسسات
من احسن ما يرى ، كدار البرلمان التى هى من طراز فريد
في هندستها وبنائها والمتحف الوطنى الذى يشتمل على
جناح من الطف ما رأيت فى اى بلد، وهو يمثل اعمال
الحج من البدء الى الختام ، فأول ما يستقبلك فيه مثال
مصغر للباخرة التى تنقل الحجاج الماليزيين الى الديار
المقدسة ، ثم تمثالان لرجل وامرأة محرمين ـ ثم مثال
مصغر للكعبة المشرفة بحجرها الاسود وركنها اليمانى
وكيفية الطواف حولها ، ثم المسعى بصفاه ومروته وكيفية
السعى فيه ـ ثم جبل عرفات والوقوف عليه ثم منى بخيامها
وجمراتها الثلاث وكيفية الرمى الخ المناسك. وعندما تطأ
رجلك باب هذا الجناح ينطلق المذياع مرتلا الآيات القرآنية
الكريمة المتعلقة بالحج ، مما يضفى على المكان جوا من

الخشوع والتأثر ، لا يرشد فقط لتعليم الجمهور مناسك الحج كما قيل لنا بل يرغب فيه ويشوق اليه كاعظم ما يكون الترغيب والتشويق.

اما ما يشتمل عليه المتحف من اقسام اخرى تمثل تاريخ البلاد وآثارها ومنتجاتها الطبيعية والصناعية ، فهو شيء جميل وطريف ، ولكنه معهود فى كل الدنيا.

وأعظم ما يزار فى كوالالمبور مسجدها الاعظم او الوطنى كما يسمى ، وهو قطعة فنية خالدة برغم جدته وحداثته ، فانه لم يبن الا بعد الاستقلال ، وتوخى فيه ان يمثل عظمة الاسلام وشعور الماليزيين الدينى العميق ، ورد الفعل الاسلامى لما كان يلقاه دين الشعب الماليزى من المحاربة ايام السيطرة الانكليزية . وقد قيل لنا ان جملة ما بنى من المساجد فى كامل القطر بعد الاستقلال بلغ اربعة آلاف مسجد .

والمسجد الوطنى هذا يتكون من قبة عظيمة مسقوفة بشكل مظلة او شمسية كما يقولون فى الشرق، وهى تعكس عادة الماليزيين الذين يستعملون المظلة بكثرة سواء لاتقاء الحر او المطر ، وحوالى هذه القبة بلاطات مسقوفة هى الاخرى بنفس الشكل ، ولكن بحجم صغير ، فتكون مجموعة من المظلات تتراءى من بعيد كانها جماهير

من الناس متظللين كما يرى عندنا فى حالات تهاطل الامطار وسقف القبة الكبرى والبلاطات من الداخل يشكل ما يشبه كثيرا المقربصات المعروفة عندنا فى البناءات المغربيـة ، ولذلك فانهم يقولون عنه انه على الشكل المغربى. ثم ان هذه البلاطات محاطة بدرابيزنات ومن حولها احواض مائية مثل الصهاريج مزينة بنباتات مائية كالنيلوفر وبجوانبهـا اشجار خضراء تزيد المنظر جمالا وتلطف الجـو وتوحـى بمعان من الروعة والجلال .

وبالمسجد ادارة لموظفيه متسعة ومؤثثة بما يشبـه مكتب وزير عندنا. وبه ايضا قاعة للمحاضرات من نفـس الشكل ، وقد وجدنا بها فى زيارتنا الشخصية الفجائية إحد العلماء يحدث جمهورا من المومنين بين رجال ونساء مـن مختلف الاعمار ، وكل فى مكانه المخصوص به .

كما ان بداخل قبة المسجد محلا مرتفعـا مخصوصـا للنساء دائرا بساحة القبة وعليه حاجز لطيف من الجبص المخروم فى غاية الحسن واللطف.

وهذه القبة مفروشة بالزرابى الرفيعة ، ولكن فى يوم الجمعة لما حضرنا الصلاة وجدناها على كبرها قد نشرت فيها ازر بيضاء من الكتان فى عرض نحو 40 سنتيما وعلى ترتيب وحساب دقيق ، وذلك من اجل سجود المصليـن

عليها ، فالصفوف بموجب وضع هذه الازر تنتظم بصفة تلقائية ، ومباشرة المصلين بالجبهة والانف اثناء السجود لا تكون على الزرابى التى توطأ بالاقدام بل على هذه الأزر.

ومما يجدر ذكره ان الاحذية تخلع بباب المسجد وتترك فى ساحته الداخلية تحت الدرج التي يصعد بها اليه ولا يدخل احد الى المسجد مصحوبا بحذائه ، ولكن المهم هو ان اى حذاء لا يفقد اطلاقا، وذلك امر معروف عندهم ولا تحفظ فيه فلتة واحدة .

والماليزيون الذين يلبسون البذلة الافرنجية يشدون فى وسطهم شالا جميلا وبشكل انيق حين الحضور للصلاة، وذلك فيما اظن للستر وتفادى التحديد للعورة الذى يتحدث عنه الفقهاء والذى يبرزه «البانطلون» بصورة ملفتة للانظار. وقد رأيت الرئيس طانكو عبد الرحمن نفسه متزرا به ، وهؤلاء غير الذين يتزينون بالزى الوطنى الذى يتركب من سترة وازار فى غاية الاناقة والجمال.

ومئذنة المسجد الوطنى من أبدع ما رأيت من مأذنات المساجد فى المشرق والمغرب. انها مأذنة عصرية كما يحق ان يقال ، تتخذ شكل صاروخ فى قسمها الاعلى ، وارتفاعها 245 قدما ، وهى المأذنة الوحيدة فى العالم الاسلامى على ما اعلم التى ترقى بمصعد. هذا الى رشاقتها وزخارفها الجميلة .

ولا يفوتنى ان انوه بخطبة الجمعة التى القاها امام المسجد فقد افتتحها بالعربية فى عبارات بليغة والقاء فصيح والماليزيون على العموم ينطقون الحروف العربية كلها كما ينطقها العرب، ولا ينحرفون بها عن مخارجها كما يحصل من غيرهم. ثم بعد الافتتاح تلا بعض الآيات الكريمة وقرأ كذلك بعض الاحاديث فى موضوع اتحاد المسلمين وتعاونهم بالعربية وعقب على ذلك باللغة الماليزية . وفى الخطبة الثانية كذلك مزج بين العربية والماليزية . وأما الدعاء فانه اقتصر فيه على العربية .

والغريب ان اخواننا الماليزيين يروون مثلنا قبل الخطبة حديث الانصات الذى رواه الامام مالك من غير زيادة (ومن لغى فلا جمعة له) ولم ار ذلك فى بلاد المشرق التى زرتها .

وعلى العموم فان الشعب الماليزى شعب مسلم متمسك بدينه ، وهو يرى ان التطور والاخذ بالحضارة العصرية لا ينافى التدين وزعماؤه وعلى رأسهم الرئيس طانكو عبد الرحمن الذى له مقام كبير فى نفوسهم ، على ثقافته العالية ، لا يرى سبيلا لرقى المسلمين الا اتباع تعاليم القرآن ، وليس هو من الزعماء الذين يرون ان الدين

قد تخلف عن ركب الحضارة او الذين يحرفون نصوص الدين لمجاراة التقدم العلمى ، بل يرى ان على المسلمين ان يفهموا دينهم جيدا ويعرضوه العرض الملائم لروح العصر

وبالفعل فان بلاده تعد من اكثر البلاد تطورا فى آسيا وأهلها ودعاء مهذبون ، والدخل الفردى فيها ارفع منه فى اى بلد آخر فى آسيا ، والنظافة فى الشوارع والسكان اول ميزة يشعر بها الزائر للبلاد ، ولا يخفى ان النظافة هى شعار الاسلام ، فهم من تمسكهم بشعائر الدين يحرصون عليها اشد الحرص .

ومن اقوى الادلة ايضا على تدينهم ان علماءهم كانوا قد عقدوا مؤتمرا قبل مؤتمرنا هذا الذى حضرناه ، درسوا فيه جميع المسائل التى عرضت علينا واتخذوا فيها قرارات ولكنهم ابوا الا ان يعرضوها على علماء الاسلام فى مؤتمر عام هو الذى دعت اليه حكومتهم لاخذ موافقته او عدمها على ما قرروا ، والامر يدل على تجاوب الحكومة ورجال العلم هناك ، وفوق كل ما ذكرت فان هناك الى جانب الجامعة العصرية جامعة اسلامية يدرس فيها علماء من الماليزيين والمصريين والسعوديين وغيرهم ، علوم الشرع واللغة العربية ، وهى واقعة وسط حرجة كبيرة ملتفة الاشجار بضاحية العاصمة ، وقد جرى فيها احتفال بتسليم

شهادات علمية للمتخرجين والمتخرجات اثناء وجودنا هناك.
ولم احضرها لاشتغالى فى احدى لجان المؤتمر التى كانت
منعقدة فى نفس الوقت ، ولكن رفيقى الاستاذ محمد ابن
عبد الله حضرها .

ولعلى لست فى حاجة الى ذكر ما قوبلنا به من حفاوة
واكرام من لدن الشعب الماليزى وحكومته الموقرة وملكه
المعظم الذى خصص لنا استقبالا حافلا فى قصره الجميل
المشرف على المدينة . وانما من الواجب ان اشكر الجميع
بلساني ولسان رفيقى الدكتور محمد السعدانى سفيرنا فى
باكستان وماليزيا الذى انضم الى الوفد من ساعة وصولنا
الى مطار ماليزيا ، وهو شخصية فى غنى عن التنويه ،
وبلسان رفيقى الاستاذ ابن عبد الله ، بل باسم المغرب
الذى كنا نمثله ، وكان الاهتمام بنا موجها اليه والى من
اوفدنا لتمثيله جلالة الملك المعظم دام له العز والنصر
آمين.

الخطبة التي القيتها باسم الوفد المغربي

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس :

ايها السادة :

احييكم تحية مباركة طيبة من اخوانكم المسلمين فى

المغرب الاقصى الذين يرقبون بكل اهتمام مؤتمركم هذا ، وينتظرون ما يسفر عنه من أعمال بناءة لصالح الاسلام والمسلمين فى كل مكان ، فان مؤتمرا اسلاميا يعقد على مستوى الحكومات للنظر فى المشاكل التى تعترض المسلمين فى حياتهم اليومية بمواجهة تيار المدنية الحديثة ليس كغيره من المؤتمرات. ولئن كان ما يقرر فى المؤتمرات العادية ، هو كذلك مما يحظى باهتمام الجماهير الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها لتشوف المسلمين كافة الى الاصلاح والتطور ، فان ما يقر عين المسلمين هو ما يقرر فى هذا المؤتمر لانه سوف يعرف طريقه الى التنفيذ بعزيمتكم القوية ان شاء الله .

ان العالم الاسلامى الذى يمتد من هذه البلاد شرقا الى بلادى غربا يتألف من شعوب مختلفة الاجناس والالوان واللغات ، ولكنها غير مختلفة فى الايمان بالله الها واحدا وتولية وجهها شطر قبلة واحدة، وتكييف حياتها بمقتضى تعاليم كتاب واحد، لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ولقد لبث العالم الاسلامى قرونا طويلة من الزمن موحد الاجزاء، يخضع لحكومة واحدة ، كأنه وطن واحد ، وكان يحمل مشعل المعرفة والنور يقبس منه سكان العالم قاطبة

اقباس العلم والحضارة . ثم عدت عليه احداث الزمن ففرقت اجزاءه واستنزفت قوته واصبح يعد فى البلاد المتخلفة ماديا وأدبيا ، وهو الآن يتخبط فى مشاكل عديدة مشاكل اقتصادية تجعل اقتصاده مكملا لاقتصاد غيره، فهو تابع له ودائر فى فلكه ، ومشاكل اجتماعية قلبت حياته رأسا على عقب ، اذ طبعتها بطابع التقليد لكل ما هو اجنبى عنه ، وجعلت منه مجتمعا مزيفا لا هو بالشرقى ولا بالغربى . ومشاكل سياسية اضعفت قوته وجعلته كما مهملا لا يؤبه به ، وهو لو شاء لكان قوة لها وزنها وقيمتها فى توجيه السياسة العالمية وحفظ التوازن الدولى فى المحيط الاممى .

ان منشأ هذا التخلف وبقاءه حتىبعد النهضة الاسلامية الكبرى التى ازاحت عن كاهلنا نير الحكم الاجنبى هو عدم تنظيم شؤوننا ووضع خطة موحدة للعمل على حفظ كياننا مستوحاة من تعاليم ديننا الاسلامى الحنيف الذى نهض بنا لما كنا نعيش عيشة جاهلية ، فكيف به اليوم وقد انفتحت امامنا السبل للاستفادة من تقدم العلوم والفنون ، الذى لم يات بما يعاكس التيار التقدمى فى الاسلام ؟

حقا لقد نجحنا فى حروبنا التحررية وتخلصنا من ربقة الاستعمار ، لاننا اخذنا فيها بتوجيهات الاسلام

وجاهدنا طبقا لاوامره السامية من اجل العزة والكرامة،ولكننا لم ننجح فى العمل على استرجاع مجدنا واعادة بناء امتنا الى ما كان عليه من القوة والعظمة ، وذلك لاننا عملنا وفق مخططات مستمدة من احوال واوضاع غير احوالنا وأوضاعنا فيجب ان نراجع انفسنا ونضع برامج الاصلاح المنشود بالنظر لوضعية المسلمين الحاضرة وماضيهم ومستقبلهم ، وما وصفه دستورهم الخالد ، وهو القرآن الكريم لعلاج امراض الامم والشعوب المتخلفة ، والا كنا فى التماس الهدى من طريق الضلال مثل ما قال الشاعر الحكيم :

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

انه لمن المؤسف ان لانضع اسسا سليمة لبناء اقتصادنا واستقلاله عن اقتصاد الغرب بدعوى انه لا بد لنا من نظام المصارف والمعاملات المالية المتبعة فى الرأسمالية الغربية كما هى ، اذا اردنا ان ننتعش اقتصاديا ، فنقع فى المخالفة الصريحة لتعاليم ديننا ونغرق فى الربويات الى الاعماق ، ولا يكون لنا مصير الا التعلق بأذيال الاقتصاد الغربى والتبعية المطلقة لمصالحه ومؤسساته، فى حين ان دول المعسكر الشرقى قد احرزت كيانها الاقتصادى وألغت التعامل بالربا تماما ، وهى فى ازدهار اقتصادى يتزايد كل

يوم ، فهل كنا بحاجة الى ان تضرب لنا الامثال من الخارج على صحة ما فى شرعنا من قواعد وأحكام ؟

وانه لمن المخجل ان لا ننظم حياتنا البيتية على مقتضى تعاليم الكتاب والسنة ، فنحتفظ للمرأة بكرامتها ، وللاسرة برباطها ـ وللعلاقة بين الجنسين بما اوصى الله به من عدم المسامحة فيما يوقع فى الانحلال والتفسخ الخلقى حتى يبقى مجتمعنا نقيا نظيفا شعاره الطهارة وعدم الاثارة .

وانه لمن العجز ان لانخطط برامج موحدة لتربية الفكر والشعور عند النشء الطالع ، على العقيدة والسلوك الاسلامى الطاهر ، فنحول بينه وبين الانسياق فى حبل الدعاية الباطلة والمبادىء الهدامة، كما فعل اسلافنا عند ظهور البدع والنحل الزائفة، فوضعوا في مواد التعليم الاساسية ما يقى اولادهم من تلك الفتن ـ وحصنوا عالم الاسلام من الغزو الفكرى الذى لم نستطع نحن ان نحصنه منه اليوم ، وناهيكم بما يوثره هذا الغزو فى معنويات ابنائنا وسلوكهم واعتقادهم .

ولا اتعرض للميدان السياسى وتناقضاتنا فيه مع واجبنا الاسلامى، ولكن قضية فلسطين ليست قضية سياسية بقدر ما هى قضية اسلامية . انها قضية القدس

الشريف والمسجد الاقصى واولى القبلتين ومسرى النبى (ص) ومعراجه. انها اكبر قضية تواجه المسلمين اليوم ، فماذا فعلنا فيها ؟ اننا مهما اختلفت انظمتنا وتباينت اتجاهاتنا ، لابد ان يكون لنا موقف موحد ازاء بعض القضايا التى لا تقبل النقاش ، وأهمها على الاطلاق فى الساعة الراهنة قضية فلسطين. ولذلك فان مؤتمرا اسلاميا كهذا لا يمكن ان ينفض بدون ن يتخذ موقفا عمليا،

وأؤكد على عملي هذه وان كنت لا إعطى لها تفسيرا لانقاذ فلسطين والقدس قبل ان يتطاول الاعداء الجدد والقدماء الى الاستيلاء على مكة والمدينة .

حضرات السادة :

ان معظم المسؤولية فى عدم قيام الاسلام بدوره فى الحياة العامة واداإئه لرسالته الانسانية كاملة ، ليقع على عاتق بعض القادة والزعماء السياسيين فى البلاد الاسلامية بسبب تجنبهم بحث مشاكل المسلمين ، وعدم ربط سياسة بلادهم بمتطلبات نظام الحكم الاسلامى الذى يرعى مصالح الاسلام ويواكب انبعاث دعوته من جديد فى العصر الحديث، ونحن نتفاءل خيرا بعقد هذا المؤتمر الذى دعت اليه حكومة ماليزيا المحترمة وجعلته على مستوى الحكومات فوضعت القضايا الاسلامية بذلك على البساط الرسمى كما يجب ان

يكون وكما نادى بذلك المفكرون والمصلحون الاسلاميون منذ قيام جمال الدين الافغانى .

انها فى الواقع مبادرة طيبة من هذه الحكومة الرشيدة وجلالة ملكها المعظم ، واستجابة مشكورة من الحكومات الموقرة المشاركة فى هذا المؤتمر الذى نرجو ان يكون محققا للشعار القرآنى القائل: «وائتمروا بينكم بمعروف».

وبهذه الصفة اوفدنا جلالة الملك المعظم الحسن الثانى وأعطانا الصلاحية للبث فى المسائل التى تعرض علينا باسم حكومة المغرب .

وعلى كل حال فان الاهتمام بدراسة احوال المسلمين وعرض المشاكل التى يواجهونها على انظار المسؤولين وابداء هؤلاء لآرائهم الصائبة ازاءها ، واتخاذهم للمواقف الايجابية بشأنها ، لمن بشائر العزم والتصميم على البعث المنشود ، وبوادر الوعى والايمان بالانطلاقة الجديدة للاسلام التى تنتظرها شعوبه وتنتظرها معهم الانسانية جمعاء لانها فى صالح الجميع ولخير الجميع «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون».

والسلام عليكم ورحمة الله

مؤتمر ممثلي الاديان
في الاتحاد السوفياتي

انعقد فى مدينة زاغورسك بروسيا من فاتح يوليوز 1969م الى 4 منه ، مؤتمر لممثلى الاديان المتبعة فى الاتحاد السوفييتى بمشاركة اتباع هذه الاديان فى الخارج الذين دعتهم اللجنة التحضيرية للمؤتمر .

والغرض من عقد هذا المؤتمر هو العمل على تقوية وايقاظ الشعور بالمسئولية عن مصائر السلام لدى ممثلى جميع اديان الارض ، وكذلك توطيد الصداقة والتعاون بين شعوب العالم لاجل احلال السلام العالمى والتقدم الشامل، كما جاء فى الدعوة التى وجهت الى المشاركين من الخارج. فالمؤتمر ليس دينيا كما قد يظن ، ومن ثم جاءت اهميته ، فضلا عن انبعاث رجال الدين فى الاتحاد السوفياتى الذى له اهميته الاخرى .

ومدينة زاغورسك التى عقد بها المؤتمر ، ليست الا قرية كبيرة ، لكن اهميتها جاءت من وجود دير كبير بهـا يسمى دير القديس سيرفى، وهو يحتوى على عدة كنائس

اثرية وكلية للاهوت المسيحى ، يقصدها طلاب المذهب الارثوذكسى من كل مكان . وهى تقع على بعد 70 كيلومترا من عاصمة موسكو وليس بها الا فندق واحد من الدرجة الثالثة ، والضيوف كانوا موزعين بين هذا الفندق والدير نفسه . اما الضيافة فقد كانت ممتازة .

وقد شارك فى المؤتمر اكثر من مائتى شخص من اتباع الديانات الكبرى ، الاسلام ، والمسيحية بمختلف مذاهبها . والبوذية والبراهمانية ، ومثل اليهودية حاخام موسكو بصفة ملاحظ لا غير. وكان المشاركون المسيحيون يمثلون القارات الخمس ، وكانوا يتوفرون على مؤهلات ودرجات علمية كبيرة ، وبذلك يعلم سر انتشار المسيحية وبقائها فى جميع انحاء الارض على مناهضة المذاهب المادية والالحادية لها .

ومثل ذلك يقال فى ممثلى البوذية والبراهمانية ، فكنت ترى الراهب المسيحى بلباسه الكهنوتى ، ورجل الدين البوذى ملتفا فى ردائه الاصفر ، والبراهمانى بزيه الخاص، فتظن انهم من طراز رجل الدين المنقطع للعبادة والمهتم بالرسوم الدينية ولا زائد. لكنه ينكشف لك عن دكتور فى الفلسفة واللاهوت ومتكلم بلغتين او ثلاث من اللغات الحية فضلا عن اللغات الدينية الاخرى . اما المسيحى

والبوذى والبراهمانى الذى يتزيى بالزى المدنى فهو مفروض فيه ان يكون على ثقافة واسعة دينية وعلمية ، وهو بالفعل يكون كذلك .

ولا استثنى من هذا رجال الدين الروس والوافدين من البلاد الشيوعية الاخرى التى يظن ان التدين فيها ضعيف وان علم اللاهوت قد فتر الاقبال عليه بل انهم كانوا المجلين فى الحلبة بدراساتهم وخطبهم التى كانوا يجلجلون بهـا فى المكان .

اما المسلمون فالمشاركون منهم كانوا يمثلون المغرب والجزائـر والسينغال ولبنـان وسوريـا والاردن والعربية المتحدة ويوغوسلافيا التى حضر منها الاخ حسين جوزو ، كما حضر طبعا ثلة من رهبانها . وهذا بالاضافة الى مسلمى الاتحاد السوفياتى الذين لم يكن لهم دور فعال فى المؤتمر على خلاف مواطنيهم المسيحيين ، لا ادرى لعدم استعدادهم او لعدم ايمانهم بنتيجة المؤتمر ، وان كان هذا العموم لا يدخل فيه سماحة المفتى ضياء الدين بابا خان المعروف بنشاطه وقوة شخصيته .

وقد كانت مشاركة الجزائر بوفد يترأسـه السيـد وزير الاوقاف الاستاذ العربى السعدونى ، وان كان لم يصل الا في اليـوم الاخيـر للمؤتمـر وكذلـك تـرأس وفد الاردن

السيد وزير الاوقاف الشيخ عبد الله غوشة، واما وفد سوريا فزيادة على رئيسه السيد وزير الاوقاف كان يشتمل على مفتي سوريا الاكبر الشيخ كفتارو.. وأظن ان التمثيل بالوزراء في هذا المؤتمر كان اكثر من اللازم هذا في حين ان لبنان كان ممثلا بالاستاذ وفيق القصار وهو زميل لنا في مجمع البحوث الاسلامية ومن رجال القانون يعززه الاستاذ مصطفى منصور ، وهما معا من اعضاء المجلس الاسلامي في لبنان. وكان السينيكال ممثلا بأحد القضاة واحد رجال التعليم.

ولم يحضر من العربية المتحدة احد ، فمثلها استاذ مصري منتدب في جامعة موسكو .

كانت جلسة الافتتاح حافلة بالخطب وكلمات الوفود المشاركة التي كانت تنقل بالترجمة الفورية الى خمس لغات ، وهي العربية والروسية والانكليزية والفرنسية والالمانية . وترأسها البطريك اليكسي بطريك الكنيسة الارثوذكسية الروسية . في حين كان المطران نيكوديم ميتروبوليت لينينكراد ونوفو غورد يترأس الجلسات العامة بعد ذلك . وفي جلسة الافتتاح هذه القى الكاتب كلمته باسم الوفود الاسلامية وهي المنشورة في آخر هذا الحديث.

وتوزع المؤتمرون الى لجان خمس هي لجنة مقاومة

الاستعمار القديم والجديد ، ولجنة الشرق الاوسط ولجنة الامن الاوربى ولجنة الفييتنام ولجنة التقارب بين الاديان والشعوب واختار الكاتب لجنة الشرق الاوسط وان رشح للجنة الاخيرة كما اختارها اكثرية الوفود العربية.

وقد القى فيها الزميل الاستاذ القصار تقريرا طويلا عن قضية فلسطين وتطوراتها وحوادث التعسف التى اعقبت اعتداء الصهاينة على الوطن العربى فى 5 يونيه ، كما القى كثير من المندوبين كلمات فى الموضـوع وكلها تنديـد بالعدوان الصهيونى وتأييد للعرب ، وامتاز المسيحيون العرب الارثوذكس بالخصوص بمواقف حماسيـة للقضيـة العربية وجلوا فى هذه اللجنة بخطبهم النارية التى جردوا فيها من الايمان المسيحى كل متعاون مع اسرائيل.

وتدخل الكاتب عدة مرات ، وكان اهم تدخلاته هـو الذى عقب به على كلام الدكتور صول راعى الكنيسة الاممية فى الولايات المتحدة الذى قال ان المتحدثين هاجموا امريكا بدون موجب ، وأن موقفا مثل موقفها ممكن ان يصدر من الاتحاد السوفياتى ودعا العرب الى التفاوض مع اسرائيل وقال ان ذلك افضل وسيلة لحل مشكلة الشرق الاوسط فى نظره .

وقد علقت عليه بأن احدا لـم يهاجـم امريكـا وان

الولايات المتحدة كحكومة وكشعب لها فى نفوس الجميع كل تقدير واحترام ، وان كان هذا لا يمنع من انتقاد جانب من سياستها وهو ما تنهجه فى الشرق الاوسط من تحيز سافر الى اسرائيل. ثم قلت ان الاتحاد السوفياتى اذا اتخذ موقفا مشابها فاننا لا نسكت عنه ولا بد ان ننتقده .

وكان قد لوح بان العرب مغرورون بصداقة الروس فقلت ان العرب لا يعتمدون الا على انفسهم وهم لم يطلبوا ولن يطلبوا من روسيا ان تحارب اسرائيل وتحرر الوطن العربى من الاستعمار الصهيونى ، ولكنهم يعتبرونها صديقة بتأييدها لقضيتهم فى المحافل الدولية ، ولو قال الامريكان والانجليز كلمة حق فى القضية لانحل المشكل ولاصبحوا كذلك اصدقاء للعرب.

اما ما دعى اليه الزميل الامريكى من التفاوض بين العرب واسرايل فهو مثل دعوة صاحب البيت، الذى سطا عليه اللصوص الى التفاوض مع هؤلاء اللصوص، ولن يصير ذلك الا اذا عدمت المحاكم والقوانين من الدنيا ولم يبق فيها عدالة ولا حماة لها .

والحلفاء لما قهروا المانيا النازية لم يقعدوا معها على مائدة للتفاوض وانما ساقوا رؤساءها وقادتها الى محكمة نورمبرج وأدانوهم بصفتهم مجرمى حرب كما هو معلوم .

فان كان العرب ضعفاء لا يستحقون حتى انصافهم من عدوهم فلندعهم يبحثون عن القوة ولو عند الشيطان كما قال تشرشيل مادام الحق على افواه المدافع كما قال بسمارك .

وتدخل الكاتب ايضا ضد مندوب استونيا الذى تكلم اولا كلاما طيبا وعاب على حاخام اليهود سكوته المطبق ، ولكنه قال ان إتباع الاديان السماوية الثلاثة كلهم ابناء الله ، فلتكن فلسطين لهم جميعا .

وقد عقبت عليه بأن فلسطين كانت دائما لاتباع الاديان الثلاثة يزاولون فيها شعائر دينهم بكل حرية، ولهم فيها اماكن مقدسة ومؤسسات دينية محترمة ، حتى استولى عليها الصهاينة فظهر فيها التعصب والعنصرية واهدار حرمة الاماكن المقدسة ومنع اصحاب الدينين الآخرين المسيحية والاسلام من حرية التعبد ومزاولة شعائرهم كما كانوا من قبل. ولذلك فهى ان كانت دينيا لاهل الاديان الثلاثة ، فهى سياسيا للعرب وحدهم لانها واقعة فى قلب بلادهم ولانهم احسنوا فيها معاملة الجميع .

وقلت فى تدخل آخر ان قضية فلسطين هى قضية انسانية قبل ان تكون عربية واسلامية ولو اصيبت بلاد غير اسلامية ولا عربية بما اصيبت به فلسطن لكان علينا

معشر المسلمين ان نستنكر ذلك ونقاومه اذا قدرنا ، وذلك بمقتضى تعاليم دينا الحنيف. وسقت الادلة على ذلك.

وقد كان لهذه التدخلات وقع حسن في نفوس اخواننا العرب المسيحيين بالخصوص ، فتفضل سيادة المطران باسيليوس سماحة وقدم الى وسام المتروبوليتنية لجبل العرب وحوران ومعه براءة تقول المجد والشرف للابطال الذين نذروا أنفسهم لتحرير بلادهم الخ .

هذا وفي اثناء انعقاد اللجان ، كانت تعقد بعض الجلسات العامة ومنها ندوة في موضوع دور الفرد في بناء المجتمع السياسي الحديث، وقد تناول فيها الكلام ستة افراد يمثلون مختلف الاديان منهم الكاتب(1).

واخيرا صدرت القرارات وكان من بينها قرار لجنة الشرق الاوسط الذى ندد بالعدوان الاسرائيلي وطالب بتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في 22 من نونبر 67 وباعادة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم وتعويضهم عما لحقهم من خسارة . وتبنى ذلك كله على اساس ديني من الحرص على عدم اثارة العداوة بين اتباع الاديان وقيام عهد جديد من التفاهم والمودة بين الشعوب ولا سيما الاديان السماوية وكان سيادة الشيخ عبد الله غوشة حرر ملتمسا في قضية فلسطين وعرضه علينا وقدمه باسم الوفود العربية فارتأت

---

1) أنظر كلمته في الموضوع آخر هذه المقالات .

اللجنة التحضيرية للمؤتمر ان تضمه الى وثائق المؤتمر ، لان قرار اللجنة هو الذى نال موافقة الجميع ، وليس المهم التوصيات او القرارات ، ولكن المهم هو العمل الجدى وان يلاحق اصحاب الحق حقهم حتى ينالوه .

✡ ✡ ✡ ✡ ✡

الخطاب الذى القاه الكاتب في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الاديان من اجل السلم وتقارب الشعوب بالاتحاد السوفياتى

السيد الرئيس :

ايها السادة :

احييكم بتحية الاسلام السلام عليكم ورحمة الله .

وانطلاقا من مدلول هذه التحيــة انتقل للتعبير عــن شعورى ازاء هذا المؤتمر الموقر الذى يمثل اتباع جميــع الاديان فى الاتحاد السوفياتى .

اننى لما تلقيت الدعوة الكريمة التــى وجهــت الي ، للمشاركة فى هذا المؤتمر - كان الامر مفاجأة لى من عدة وجوه ، لان عقد مؤتمر للاديان - فى بلاد تقوم سياستها اساسا على اسقاط الدين من حسابها امر له مغزاه العميق ولان مؤتمرا يجمع بين ممثلى عدة اديان مختلفة هو كذلك امر له دلالته الخاصة .

ثم ان استدعاء ممثلين لهذه الاديان ، من الخارج ـ للمشاركة فى هذا المؤتمر ـ هو ايضا مما يحمل على التفكير الطويل .

لم اذكر هذه المفارقات الغريبة ، من اجل الاستغراب ذاته ـ بل لابلور حولها شعورى بالغبطة والسرور الذى غمر نفسى وانا استجيب لدعوة المؤتمر ، وأجىء من بلاد بعيدة للمشاركة فى اعماله .

اذن ، فالبلد الذى يعتبر قبلة الشيوعية ، لا يمتنع ساسته من التفتح على حقيقة واقعية هى ان فريقا من سكانه قليلا او كثيرا ، لا يزال متمسكا بدينه ممارسا لشعائره ويرتقى به الحال الى ان يعقد مؤتمرا دينيا لغرض من الاغراض ـ بموافقة الحكومة طبعا ـ وهى التى لها موقف معروف من الدين بحكم مذهبها الشيوعى .

واذن مرة ثانية فان اهل الاديان مهما اختلفت فى الجوهر او العرض شعروا بحاجتهم الى الاتصال وفتح الحوار فيما بينهم ، مما يوذن بتدشين عهد جديد من حسن التفاهم ونبذ التعصب المذموم .

واذن ثالثة فان البلاد التى كان خصومها يزعمون انها تقع وراء ستار حديدى ، قد فتحت ابوابها على المصاريع للزائرين والمدعوين ، ولو كانوا من اتباع الاديان ودعاتها!

ليأتمروا بمعروف مع رجال الدين فى هذه البلاد.

اليس هذا ايها السادة امرا له مغزاه العميق ودلالته الخاصة ومما يبعث على التفكير الطويل ؟

ان من ابسط ما يدل عليه هذا الامر سيادة روح التسامح والوفاق بين المتدينين وغيرهم ، وبين اتباع الاديان المختلفة انفسهم ، فغير المتدينين ، وان كان زمام السلطة بيدهم قد برهنوا على ان الحرية الفكرية هى فوق جميع الاديولوجيات ، ولذلك لم يروا من الحق ان يمنعوهم من الاجتماع . والمتدينون فهموا رسالة الدين الحقيقية وهى التعاون على الخير وهداية الضالين والمحبة والايثار والانصاف وما الى ذلك مما كان خلق مؤسسى الاديان ، فعقدوا العزم على التقارب ومد اليد بعضهم الى بعض، وقطع مادة الشجار والخلاف حتى يمكنهم اداء رسالتهم المقدسة بنجاح وايمان .

واما ما هو اعظم من ذلك، فهو عودة رجال الدين الى ميدان العمل الدولى وممارسة حقهم كمواطنين في التوجيه السياسى ، لان اكثرية الشعوب والحكومات ولا سيما فى الغرب ، قد استبعدت الدين من سياسة الدولة ، ولم يبق لرجاله الا ما سمته بالسلطة الروحية ، اما ما تسميه بالسلطة الزمنية فهى لا ترى لرجال الدين حقا فى ممارسته

لاسباب لا داعي لذكرها هنا ، فاذا عاد رجال الدين في الغرب ، وفي بلاد الاتحاد السوفياتي بالذات للاهتمام بالوضع الدولي الراهن، وانطلقوا من مسؤوليتهم الدينية عن الحفاظ على السلام في الارض ، فعقدوا مؤتمرا من اجل التعاون بين الشعوب والدعوة الى السلام ، فان هذا من بشائر الخير ودواعي الثقة بالمستقبل ، وقيام الحجة على ان الانسانية ، بحاجة الى تعاون جميع طبقاتها وتكافلهم لتعيش في امن وطمانينة وسعادة ورخاء . اما بالنسبة الينا معشر المسلمين فلعلني في غنى عن تذكيركم ، معاشر الزملاء ، بأن ديننا الاسلام هو دين السلام وان السلام هو تحيته الرسمية التي امرنا ان نبذلها لمن عرفنا ولمن لم نعرف ، وهو الدين الذي انشأ تلك الحضارة التي نعم في ظلالها بالحياة الكريمة والعيش الرغيد اهل المشرق والمغرب جميعا ، من غير ان يقوم بينهم نزاع طبقي او خلاف مذهبي او تمييز عنصري يكدر عيشهم ويهدد امنهم.

وقد احتضنت بلاد الاسلام من عناصر السكان ، الابيض والاسود والاحمر والاصفر ، واليهودي والنصراني والمجوسي والصابيء ، وسائر الملل والنحل ، والاصول والاجناس ، وكفلت لهم حرياتهم العامة ، وحمت كنائسهم وبيعهم ومعابدهم ، وفوضت لهم في حكم انفسهم بشرائعهم

الخاصة فـى الاحوال الشخصيـة ، وفتحت لهـم ابـواب المعاملات التجارية والمالية على مصاريعها ، حتى تمولوا وتأثلوا الاصول والعقار وسمحت لهم بالتوظف فى مصالح الدولة ، وأرسلت منهم السفراء والرسل الى البلاد الاجنبية وضربت اروع الامثال فى التعايش السلمى بيـن الافراد والجماعات والدول .

وهى على ما كانت تتعرض له من هجمات وحـروب دائمة ، لم تكن تصنع من ادوات الحرب والقتال الا بقدر ما تدفع عن نفسها وتحمى ارضها . وفى تاريـخ الاسـلام الطويل كان المسلمون دائما يشترون السلاح من الاجانب مما يدل على ان روحهم السلمية لا تسمح لهم حتى بسد كفايتهم فى هذا الباب .

لذلك فانا باسم رابطة علمـاء المغـرب واذا سمـح الاخوان المسلمون الموجودون هنا ، فانى اقـول باسـم الاسلام والمسلمين احيى هذا المؤتمر والذين سعوا فى عقده ودعوا اليه ، واعلن ان دعوته هى دعـوة الاسـلام ، وأؤكد الاعراب عن شعور الغبطة والسـرور الذى حدانـى لحضوره وأتمنى له غاية النجاح، وليلاد الاتحاد السوفياتى مزيد التقدم والازدهار والسلام .

كلمة المؤلف فى ندوة دور الفرد فى المجتمع السياسى الحديث

ايها السادة :

ان دور الفرد فى بناء المجتمع السياسى الحديث ، موضوع واسع يضيق عن بعضه الوقت ، فالكلمة التى اتشرف بالقائها عليكم انما هى لمحة خاطفة ونظرة خاصة من زاوية ضيقة ، هى زاوية التجربة العملية فى بلادى المغرب .

ان الفرد بصفته الرسمية لا يخلو اما ان يكون رجل اعمال او قانون او سياسة او عاملا او جنديا او استاذا او طبيبا او ربة منزل او ممرضة او مشغلة اجتماعية وما الى ذلك.

وهؤلاء فضلا عن اعمالهم الراتبة ، فان اكثريتهم تزاول اعمالا فى الحقل الاجتماعى او السياسى باعتبار انتماءاتهم المختلفة ، ولناخذ الجندى مثلا ، وهو ابعد هؤلاء عن التصرف فى حريته الشخصية ، وأختص الجندى المغربي بالكلام ، فانه خارج نطاق التدريبات العسكرية وما تقتضيه مهمته الوطنية الاولى ، يعد من انشط العناصر فى مجال العمل الاجتماعى بما يقوم به من خدمات فى قطاعات التنمية المختلفة ، كبناء الجسور وتشجير الاراضى البور وشق ترع السقيا واسعاف منكوبى الفيضانات

والزلازل والمساهمة فى المباريات الرياضية على الصعيد الوطنى والدولى وغير ذلك .

واما بقية الافراد فانهم اذا كانوا منتمين لحركة سياسية فان ما يبذلونه فى سبيل التوعية القومية وبناء المجتمع على اساس من التعاون والنهوض بطبقاته المختلفة فكريا وماديا ، يكاد يفوق في بعض الاحيان ما يبذلونه من جهد فى اعمالهم الخاصة والرسمية .

وأذكر ولو باشارة عابرة ما قمنا به فى هذا الصدد منذ ان وعينا واجباتنا الوطنية ايام الحماية الاجنبية ، من اعمال كانت كنها فى صالح البلاد وبناء هيكل الدولة المنهار ، كالاتصال بطبقات الشعب لرفع معنوياتها بعد اخماد الثورة الريفية التى كان يقودها البطل محمد بن عبد الكريم الخطابى ، وتلقين الافراد والجماعات ما لابد منه من المبادىء السياسية التى تقوم عليها العلاقات بين المغرب ودولة الحماية والدول الاخرى ، وخاصة التى شاركت فى مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 ، ذلك المؤتمر الذى قرر احترام وحدة التراب المغربى وسيادة السلطان وعدم التدخل فى الشؤون الخاصة للدولة المغربية وكانشاء المدارس الحرة لنشر المبادىء الوطنية واللغة العربية التى كان المستعمر يحاربها وتلقين النشء تاريخ بلاده الذى كان يشوه فى المدارس الاستعمارية ، وتكوين الشعب الوطنية التى تدعم الحركة التحررية فى كل حى

من كل مدينة وفى كل قرية ، وتنويرها بالتعليق على الاخبار والتربية السياسية ، والربط بين حلقاتها المتعددة وجعلها على استعداد لمواجهة الطوارىء ، وتكتيل العمال فى نقابات ثم تاسيس الاتحاد الوطنى للشغل ، وبالمثل تاسيس الاتحاد الوطنى للطلبة، وتنظيم المقاطعة والاضرابات وحركات الاحتجاج والمظاهرات ضد الحوادث الكبرى ، وأخيرا تنظيم المقاومة والعمل الفدائى الذى اطاح بالحكم الاستعمارى وحقق الحرية والاستقلال للبلاد .

هذه المساعى كلها قام بها افراد متحمسون لتحرير بلادهم من سيطرة الاجنبى وللعمل من اجل غد افضل.

والآن وبعد الاستقلال لا يمكن ان نحصى ما يقوم به الافراد عندنا ، مستقلين وداخل الجمعيات التى يؤلفونها بحسب هواياتهم من اعمال للمساهمة فى بناء الوطن المغربى اجتماعيا وسياسيا. فالى جانب الاحزاب السياسية هناك جمعيات لمساعدة التلاميذ والطلبة على مواصلة دراستهم بنجاح ، وهناك جمعيات لانقاذ المكفوفين وتعليمهم بطريقة (برايل) وتمرينهم على بعض الاعمال اليدوية التى تكفل لهم مردودا ما ديا يعينهم على مواجهة تكاليف الحياة ، وهناك جمعيات لارشاد الفلاح وتثقيفه من الناحية الفنية ، وهناك جمعيات لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين ومساندة

العمل الفدائى فى الارض العربية المغتصبة، وهناك جمعيات نسوية للنهوض بالمرأة المغربية وخاصة البدوية وتعليمها ما تصير به عضوا نافعا فى المجتمع من شؤون المنزل وتدبير صحة الاطفال والصناعات اليدوية المختلفة التى ترفد الاسرة والبيت بمدخول مالى مهم ، وهناك جمعيات رياضية وادبية ومنظمات للشباب لا يسمح الوقت بذكرها وبيان ما تقوم به من اعمال لبناء الهيكل القومى للبلاد.

ومن اهم المشروعات التى حققها الشباب المغربى العامل باشراف ولى العهد آنذاك الامير مولاى الحسن طريق الوحدة التى ربطت الشمال بالجنوب ، وكان بناؤها رمزا لانهيار الحدود المصطنعة التى اقامها الاستعمار الفرنسى والاسبانى بين اجزاء البلاد الموحدة التى ما عرفت تفرقة قط .

ومن اعظم ما تقوم به الحركة الوطنية فى المغرب العربى الكبير اليوم ، العمل على توحيد اقطار المغرب الاربعة وهى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الاقصى ، تتكون منها ولايات متحدة منتظمة فى وحدة سياسية فدرالية كما هى منتظمة فى وحدة جغرافية طبيعية . وقد نشأت الدعوة الى ذلك بأثر استقلال هذه الاقطار ، وتألفت لجنة استشارية دائمة مقرها فى تونس ، وهى تعمل على

تنظيم اقتصاد هذه الاقطار وتكامله ، علما منها بأن الوحدة الاقتصادية هى اساس الوحدة السياسية . وقد توصلت بالفعل الى تنسيق مشروعات التجهيز الصناعى تلافيا للتنافس فيما بينها ، وتنظيم التبادل التجارى والايراد والاصدار والغاء التعرفة الجمركية او تخفيضها ، واتخاذ موقف موحد من السوق الاروبية المشتركة ، والعمل على انشاء شركة طيران موحدة ، وشركة ملاحة بحرية موحدة كذلك وتبادل الخبرات الفنية واليد العاملة والغاء تاشيرة السفر . ثم تجاوزت الميدان الاقتصادى الى عقد اتفاقيات هامة فى الميدان الثقافى والتعليمى ، وفى المؤتمر الاخير الذى عقد بالرباط توصل وزراء التربية الوطنية فى الاقطار الاربعة الى الاتفاق على توحيد مناهج التعليم الابتدائى فالثانوى وتبادل الطلبة والاساتذة فى التعليم العالى والكتب والنشرات التربوية والبرامج الاذاعية وما الى ذلك .

كل هذا انما نشأ بعمل الافراد وتفكير القادة الوطنيين ، ولكن الدولة لم تلبث ان تبنته اعترافا بمنفعته مما يجعل قول الفيلسوف سبنسر (الفرد ضد الدولة) لا اساس له من الصحة ، بل العكس هو الصحيح فالفرد فى الواقع انما يخدم الدولة ، وما احسن قول دوركايم (ان

الدولة التى تقوم قواعدها على رماد الافراد لا تكون قوية البنية).

ذلك ان الاتحادات والجماعات لا تقوم إلا على اكتاف افراد عباقرة وقادة اكفاء ، ففى الحقيقة ان اعمال هذه الاتحادات والجماعات انما هى اعمال اولئك الافراد والقادة وما احرى الدولة بالاستفادة منها والتعاون معها وتشجيعها وتهيئة فرص النجاح لها ، فان نجاحها هو نجاح للدولة

ولننظر الى المنظمات النقابية فانها وهى تكتلا تفردية فى المجتمعات الرأسمالية تحمى التطلعات والكفايات الشخصية ، فلو اننا دققنا النظر لوجدنا ان هذه التكتلات الفردية انما هى الخطوة الحاسمة للاشتراكية الحقيقية التي يدلف العالم اليها يوما بعد يوم بهذا الاسم او بغيره.

ولعل الشعار الكشفى القائل (كن مستعدا) هو الشعار الذى سيصبح رائد الفرد فى المجتمعات السياسية الجديدة بشرط ان تكفل له وسائل العمل ، وأهمها الحرية التى لا نجاح لفرد ولا لجماعة الا بها .

واذا كنا قد صححنا قول سبنسر بما نراه هو الواقع فما اجدرنا ان ننبه الى ان هذه الفكرة قديمة ، وقد جاءت فى نص ماثور عن نبى الاسلام (ص) وهو الذى يقول :

«الله في عون العبد ما دام العبد فى عون اخيه» ، كما نص عليها بيت من الشعر العربى يقول :

الناس للناس من بدو ومن حضر

بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

وان كنا نلاحظ على عبارة (وان لم يشعروا) الواردة فى هذا الشعر ، ان الناس اليوم اصبحوا يشعرون فعلا بأن بعضهم خدم لبعض مهما علت درجة البعض منهم او ارتفعت رتبته ، وهذا تقدم عظيم للانسانية يبشر بمستقبل زاهر هو ما جاء به الانبياء والرسل وحلم به المفكرون والفلاسفة(١) .

---

١) جاءنى من موسكو ان هذه الكلمة اختيرت كنص لطلاب العربية فى الجامعة من بعض الاساتذة .

زيارتي للجزائر

قال لى بعض الاخوان : لم تكتب لنا عن زيارتك للجزائر شيئا، وذلك خلاف عادتك، فما هو السبب؟ والواقع انى لما عدت من هذه الزيارة كنت على موعد مع الاهل للذهاب الى المصطاف ، ثم شغلت اياما بالعمل فى المؤتمر التأسيسى لجمعية الجامعات الاسلامية الذى انعقد بفاس فى اواسط شتنبر الماضى، وانتقلت الى الرباط لمتابعة اعمال مؤتمر القمة الاسلامى ، الى اشغال اخرى طارئة واهتمامات راتبة . فلم اشعر الا وقد مر الوقت على رحلة الجزائر، وانا لم اكمل الحديث بعد على مؤتمر الاديان بروسيا ، فلم اشأ ان ازعج القراء بشىء طال عليه الامد.

والآن وقد علمت ان هناك من يرقب حركاتى وينتظر نتائجها ولو تأخرت ، فانى اغتبط بتسجيل انطباعاتى عن هذه الرحلة التى كانت ممتعة جدا ، وسأجملها فى كلمة مختصرة، ليس لان خير الكلام ما قل ودل، بل لانها انما كانت فسحة جميلة اتاحها لى الاخوان الجزائريون فى وقت

كنت فيه اشد حاجة الى الراحة ، فلم يثقلونى بتكاليف لا تحتمل ، وكانهم عرفوا أنى بصدد الاستجمام فى المصطاف، فجعلوها مقدمة لاصطيافى .

وقد كانت الدعوة الى هذه الزيارة التى استجبت لها بسرور كبير ، موجهة الى من معالى وزير الاوقاف فى القطر الشقيق الاستاذ العربى السعدونى . والغرض الاول منها هو المشاركة فى الملتقى الثقافى الاسلامى الذى نظمته الوزارة لطلبة الجامعة الجزائرية وتلاميذ الاقسام النهائية بثانوية الجزائر .

ان وزارة الاوقاف الجزائرية شعورا منها بحاجة الشباب الجزائرى الى التثقيف الدينى المتين ومعرفة موقف الاسلام من التيارات الفكرية المعاصرة ، تنظم كل سنة هذا الملتقى الذى تستدعى له نخبة من رجال العلم والفكر فى العالم الاسلامى ليحاضروا الشباب الجزائرى عن فلسفة الاسلام وحضارة الاسلام وماضى الاسلام وحاضره ، ويبرزوا لهذا الشباب الناضج خصائص الفكر الاسلامى والدور الذى ينتظر ان يقوم به حملة الرسالة الاسلامية فى العصر الحاضر لانقاذ الانسانية مما تتخبط فيه من ظلم وظلام ، وحيرة وضياع .

وحيث انها ما تزال فى طور الاعداد لانشاء كلية للتعليم

الاسلامى العالى ، فانها تعتبر هذا الملتقى تعويضا عما يفوت الشباب الجزائرى من دراسة دينية جامعية . وفعلا فقد كان الملتقى بالموضوعات التى القيت فيه والشخصيات العلمية التى تواردت عليه ، جامعة اسلامية عصرية فى المستوى المطلوب. لا سيما وقد استمر انعقاده طوال العطلة الصيفية تقريبا ، على ثلاث فترات ، كل فترة لفوج من المشاركين، طلبة واساتذة .

ويقع المكان الذى انعقد به خارج العاصمة الجزائرية على بعد نحو 25 كيلومترا . وهو موقع صيفى جميل يسمى (مفتاحا) وقد سرنى ما رأيت فيه من تجهيز يجمع بين متطلبات الدنيا والدين ، فمن اماكن وادوات لانواع الرياضة البدنية الى مكان للصلاة فسيح لاحظت فيه وجود عدد كبير من المصاحف مع ترسيم امام من اهل العلم والدين وذلك لاداء الصلاة فى اوقاتها جماعة . وهذا الى اماكن اقامة الطلبة وقاعة كبرى للمحاضرات ، وتيسير وسائل النقل للاساتذة الذين كانت اقامتهم باحسن فنادق العاصمة .

لقد وصلت الجزائر زوال يوم الجمعة 8 غشت 69 ووجدت فى استقبالى بعض الاخوان من وزارة الاوقاف ، ومن الغد عصرا توجهت الى مفتاح مقر الملتقى ، فالقيت محاضرتى التى كان موضوعها الاسلام فى مواجهة الغزو

الفكرى . وفيما بعد ذلك كانت اقامتى كلهاجولات فى ضواحى العاصمة والاماكن السياحية المحيطة بها والمدن القريبة منها وقد قال لى المرافق وهو شاب رفيع التهذيب أصله من شرفاء وزان ، ان الوزارة مستعدة لتنظيم رحلة لى الى الحواضر الجزائرية مثل قسنطينة ووهران وتلمسان ، واكد لى ذلك نائب الوزير الاستاذ محمد الشريف مقداد ، ولكنى نظرا لاشتداد الحرارة فضلت الاقامة فى العاصمة لزيارة معالمها والوقوف على أثارها ، وذلك شأنى دائما فانى احب اذا زرت بلدا ولا سيما ان كان حاضرة كبرى ، ان استوعب معرفة ما تجب معرفته منه ، ولا اخرج منه كما دخلت مكتفيا بالرؤية العابرة التى تجعل جميع البلدان متشابهة غير متميزة بشىء .

فهذه عاصمة الجزائر اين قصبتها معقل الثورة وموئل المجاهدين ؟ اين جامع كتشاوة ؟ اين نادى الصنوبر الذى تعقد فيه الاجتماعات الدولية الكبرى ؟ اين المدرسة الثعالبية التى كانت اكبر معهد اسلامى فى المعهد البائد ؟ أين ضريح الشيخ عبد الرحمن الثعالبى العالم المفسر مفخرة الجزائر ؟ أين حى باب الوادى ذو الوقائع الشهيرة ؟ أين الاستاذ مالك بن نبى ؟ أين نادى الترقى الذى كان صوت الشيخ الطيب العقبى يجلجل فيه

بالدعوة الى السلفية ؟ وأين ؟ وأين؟ الى مالا يحصى من التساؤلات .

لهذا فانى رابطت فى الجزائر العاصمة ، وجعلت منها منطلقى صباحا الى احيائها ومعاهدها ومساء الى نواحيها وملحقاتها .

ويمكن ان اقول عن هذه العاصمة انها من اجمل بلاد الوطن العربى التى رأيتها واكثر ما تتميز بنظافتها كسائر مدن المغرب العربى ، وهو امر يخالف ما عليه الحال فى مدن المشرق العربى باستثناء بيروت ، وجمال الجزائر جاء من اشرافها وأحاطة الاماكن النزهة والخضراء بها تماما كما فى طنجة مع ملاحظة الفرق فى الكبر والصغر بين المدينتين. وبهذا الاشراف تجمع المدينة بين منظرى البحر والبر اى الزرقة والخضرة مع بياض الابنية التى تتخللها فيتكون من ذلك اطار من أبدع ما يرى .

والمرأة فى الجزائر ما تزال متحجبة ومحافظة على زيها القومى ما عدا الفتيات طبعا ، ولكن الحشمة والتصون غالبان على مظهرهن .

والجزائرى متدين محافظ على اداء الصلوات فى المسجد فذا ومع الجماعة ، فلم ادخل مسجدا فى غير وقت الصلاة ولم اجد فيه افرادا من المصلين والتالين لكتاب الله وفى

اوقات الصلاة جماعة ، رأيت فى غير ما مسجد الصفوف متراصة تملأ معظم المسجد من كثرة المصلين . وقد اشرت الى ما رأيته فى مفتاح حيث عقد الملتقى من عناية بالصلاة واقول ان الشباب الذى استمع الى محاضرتى كان على اتم الوعى بتعاليم دينه وهو شباب من طلبة الجامعة الحديثة ، وكان ما وجهه الى من اسئلة عقب انتهاء المحاضرة يدل على حسن تفهمه لقضايا الاسلام ووضعية المسلمين فى العالم الحاضر .

وعلى ذكر المساجد ، فان مما يسجل للاخوان الجزائريين بمزيد الحمد والثناء . ان جميع الكنائس تقريبا قد حولوها الى مساجد ، فلا مفهوم لجامع كشتاوة الذى كان مسجدا من قبل ورجع الى اصله ، بل ان اكثرية كنائس الجزائر العاصمة وجميع كنائس القرى والمدن الصغيرة القريبة من الجزائر التى زرتها قد حولت كنائسها الى مساجد وفرشت احسن فرش والحقت بها ميضئات نظيفة ، وهو أمر مازلنا نحن لم نفعل فيه شيأ بالنسبة الى بعض القرى التى توجد فيها كنائس مقفلة لا تستعمل لعادة ولا لعبادة كما يقولون .

وعلى ذكر القرى كذلك فانى لم اشاهد قرية واحدة من ذوات الاكواخ والبناء البدائى كما يوجد عندنا، وإنما كل

القرى مبنية بناء صحيا جميلا ومحتويا على اهم المرافق المدنية من دكاكين تجارية ومقاه عصرية ومراكز للصحة والبريد والتعليم وما الى ذلك والظن أن هذا من انجازات العهد السابق .

ومستوى المعيشة فى الجزائر مرتفع عن المغرب بنحو 40 بالمائة فى غالب الحاجيات حتى البترول وهو انتاج وطنى يبلغ ثمن الليتر الواحد منه للاستهلاك العام 100 فرنك وتنتشر اللغة الفرنسية والكلام بها فى الاوساط الشعبية بشكل يثير الانتباه على العكس مما عندنا اى انتشارها فى طبقة المثقفين والموظفين .

هذا وبعد اسبوع قضيته بين الفسحة والراحة والعناية الكاملة والضيافة الكريمة من الاخوان الجزائرين وخاصة موظفى وزارة الاوقاف عدت الى المغرب مساء يوم الخميس 14 غشت بسلامة الله شاكرا وداعيا للقطر الجزائرى الشقيق بتحقيق كل آماله فى النهضة والتقدم واعلاء كلمة العروبة والاسلام.

أيام في يوغوسلافيا

استجابة لدعوة كريمة من رئيس علماء المسلمين فى يوغوسلافيا ، موجهة الى وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، التى جهزت سفرنا باذن من جلالة الملك المعظم، توجهنا انا والاخ الاستاذ الكبير السيد عبد الرحمن الدكالى، صبيحة يوم الخميس 17 شعبان 1390 الموافق 15 اكتوبر 1970 بطريق الجو من مطار الرباط سلا الى باريز عبر تولوز قاصدين بلغراد عاصمة اتحاد الجمهوريات اليوغوسلافية.

وفى مطار باريز استرحنا نحو الساعتين ، ثم امتطينا الطائرة التى توجهت بنا الى بلغراد معرجة على ميونيخ فوصلنا قبيل الغروب بقليل . وقد وجدنا فى انتظارنا جماعة من الاخوان ممثلى الهيئة الاسلامية بالعاصمة من بينهم الاستاذ حمدى يوسف امام مسجد بلغراد الجامع ، مرفوقين بنائب رئيس لجنة الاديان المعتمد فى العاصمة ، كما وجدنا فى استقبالنا السيد الاستاذ محمد بسبس ، مستشار سفارتنا فى بلغراد .

وبعد استراحة قصيرة فى قاعة الاستقبالات بالمطار قصدنا الفندق الذى تناولنا فيه طعام العشاء ، والذى حضره جملة من المدعوين بالاضافة الى رفقائنا . وكانت جلسة ودية للغاية ، لمسنا فيها قوة الشعور الدينى لدى اخواننا مسلمى يوغوسلافيا . وبما اننا كنا تعبين ، والبرنامج كان يقضى بسفرنا فى نفس الليلة على متن القطار الى مدينة سراجيفو ، عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك ، التى هى مقر رياسة المسلمين ، فاننا قد اعتذرنا عن السفر ، ووقع الاتصال بمقر الرياسة فى سراجيفو بواسطة الهاتف لابلاغ الاخوان هناك اننا سنبيت ببلغراد ، وان لا ينتظرونا الا مساء الغد الذى هو يوم الجمعة ، فى موعد الطائرة اليومية التى سنتخذها مطية اليهم بدل القطار .

وقد سمرنا قليلا مع الاستاذ بسبس الذى يفيض حيوية ونشاطا والاستاذ حمدى الذى يتكلم العربية كاحد ابنائها ، لانه بعدما تخرج فى معهد سراجيفو ذهب الى مصر، حيث درس فى الازهر وحصل على شهادته ، وهو شاب متحمس للدعوة الاسلامية ، وقد احيا الله به معنويات المسلمين فى بلغراد ، وجعل مسجدها الجامع مثابة للجاليات الاسلامية المتعددة الموجودة فيها ، من طلبة وتجار وغيرهم ، فضلا عن المسلمين اليوغوسلافيين المقيمين بها ،

ويؤم مسجده يوم الجمعة للصلاة بعض سفراء الدول الاسلامية ويحظى بتقدير عظيم من المسلمين وغيرهم ، وله مع نائب رئيس الاديان صداقة متينة ، مما يجعلهما متفاهمين ومتساعدين على ما فيه المصلحة . وبالجملة فاني رايت فيه مثالا من اولئك الدعاة الذين نعرفهم فى الجمعيات التبشيرية بتخلقهم وحماسهم ، وزاد عليهم بالبشاشة وحلاوة القبول . وبلغراد ليست بلده ولكنه منتدب فيها للامامة والدعوة وتعليم اطفال المسلمين ، وهو صابر على الغربة وقابل للتضحية فى سبيل ملته ودينه ، لا سيما وان جهوده بدأت توتى أكلها على ما سمعناه من غير واحد ممن تحدث الينا عنه.

هذا وقد استرحنا ليلتنا تلك ، وخرجنا فى الصباح مع الاستاذ محمد بسبس ، متجولين فى المدينة الجميلة وزائرين لبعض معالمها التاريخية ، ثم سلمنا سيادته الى الاستاذ حمدى كما كنا اتفقنا على ذلك بالليل ، ولكن بعد أن الح علينا فى زيارة بيته وقدم الينا بعض المشروبات والشاى المغربى والحلويات .

ثم أخذنا الاستاذ حمدى وطاف بنا هو ايضاً في المدينة الخضراء وزرنا حديقتها العمومية المشرفة على النهرين اللذين تقع العاصمة عليهما ، وهما نهر الدانوب ونهر صافا ، والمنظر من اجمل ما يرى . ومن ثم ذهبنا الى المسجد لصلاة

الجمعة . وعند الدخول اليه استقبلنا جمهور من المومنين محيين ومرحبين ، وطلب منى الاستاذ حمدى ان أتولى الصلاة بدله ، فاديت تحية المسجد وصعدت المنبر والقيت الخطبة التى كان سيادته يترجمها الى الجمهور نبذة نبذة ، ثم صلينا ، وانصرفنا مسرعين الى دار السفير السيد حسن الكغاط الذى أقام لنا مأدبة غداء حضرها الامام حمدى ونائب رئيس لجنة الاديان ولم يطل مكثنا بمنزل السيد السفير مع الاسف ، لاننا كنا مزاحمين بموعد اقلاع الطائرة التى ستقلنا الى سيراجيفو .

وهكذا ودعنا سيادته شاكرين . وقصدنا المطار بصحبة الاستاذ بسبس والاستاذ حمدى الذى رافقنا فى رحلتنا كلها .

ولا يفوتنى هنا ان ألاحظ ان بعض الشباب العرب ممن صلى معنا بالمسجد قد اتصلوا بنا عند الانصراف واظهروا سرورهم بلقائنا ، وكذا بعض التجار من السودان وغيرها وأحدهم سألنى عن بعض احكام الصلاة ، واخبرنى الاستاذ حمدى ان سفير الباكستان كان حاضرا الصلاة ، وبعض موظفى السفارات الاسلامية الاخرى .

والملاحظة الاساسية هى ان المسجد صغير لا يتناسب وعظمة عاصمة الاتحاد اليوغوسلافى الذى يضم زهاء اربعة

ملايين مسلم . على أنه جميل وامامه ساحة بها بعض الاشجار ، تصلح فى الصيف للاستعمال وبداخله سقيفة خاصة بالنساء كما لاحظنا مثلها فى سائر مساجد هذه البلاد.

حطت بنا الطائرة فى مطار سيراجيفو قبيل الغروب بقليل ، ولما نزلنا وجدنا فى استقبالنا فضيلة رئيس العلماء الحاج سليمان افندى كمورا ، والسيد الدكتور مصطفى قامه ريج ، رئيس الهيئة العليا للطائفة الاسلامية بيوغوسلافيا وفضيلة الاستاذ الحاج نعيم افندى حاجى عبديج رئيس الادارة الدينية للشؤون الاسلامية فى البوسنة والهرسك وفضيلة الاستاذ عبد الله درويشويج مدير مدرسة الغازى خسروبك بسيراجيفو وغيرهم من الاخوان .

وقد كان لقاؤنا مع هؤلاء الافاضل معبرا عن حقيقة الاخوة الاسلامية فمن اللحظة الاولى تعارفنا وتفاهمنا كاننا كنا على صلة من قبل ، وفى احدى قاعات المطار جرت بين الجانبين محادثات تجاوزت الترحيب والمجاملات الى احوال المسلمين وقضاياهم الكبرى والروابط المتينة التى تشد بعضهم الى بعض وما بين المغرب ويوغوسلافيا من علاقات ودية ومصالح متبادلة . وكان الجو فى سيراجيفو جميلا والطقس معتدلا فما شعرنا مع شجون الحديث ، الا وقد مرت قرابة ساعة على نزولنا ، فنهضنا وقصدنا الفندق الذى اختير

لاقامتنا ، حيث ودعنا الجماعة وبقى معنا الاستاذ حمدى يوسف مرافقنا .

وكان برنامجنا يوم السبت يشتمل :

اولا ـ على زيارة مقر الرياسة الدينية العليا حيث قابلنا فضيلة رئيس العلماء والدكتور مصطفى قامه ريح ، والاستاذ الحاج نعيم . وقد رحب بنا من جديد فضيلة الرئيس بكلمة طيبة اجابه عنها الاستاذ عبد الرحمن الدكالى شاكرا لما لقيناه من حفاوة واكرام من اخواننا مسلمى يوغوسلافيا وعلى رأسهم فضيلة الشيخ كمورا واخوانه العلماء، ومنوها بالعمل العظيم الذى تقوم به الرياسة الدينية العليا للمسلمين فى يوغوسلافيا، لتثبيت دعائم الاسلام فى هذه البلاد والمحافظة على مؤسساته العظيمة .

ودار الحديث اثناء شرب القهوة على تاريخ الاسلام فى بلاد البلقان عموما وفى يوغوسلافيا خصوصا ومواقف المسلمين في حماية بيضتهم والدفاع عن كيانهم على رغم قلتهم وتكالب عدوهم عليهم . والدكتور مصطفى الذى هو استاذ في كلية الحقوق وعضو في عدة معاهد علمية ومنظمات وطنية ، ممن كان له فضل الذياد عن حوزة الاسلام فى يوغوسلافيا ، ويعتبر من اكبر المحامين عن اتباعه كما اخبرنا بذلك اخوانه هناك وهو يحظى بتقدير كبير من رجال الحكم

وسائر المواطنين اليوغوسلافيين ، وقد سمعنا منه فى هذه الجلسة ما دلنا على سعة معرفته وقوة شخصيته .

ثانيا ـ على زيارة مدرسة الغازى خسروبك ، وقد توجهنا اليها توا بعد الخروج من مقر الرياسة ، فوجدنا فى انتظارنا مديرها الفاضل الاستاذ عبد الله درويشويج وقد عقدنا اجتماعا مع الهيئة المسيرة لها التى تتكون من الاساتذة والموظفين المشرفين على الادارة والقسم الداخلى ، وعلمنا من الحديث الذى افضى به الينا السيد المدير ومساعدوه ان المدرسة تتكون من خمس سنوات دراسية وان بها نحو 500 طالب اكثر من نصفهم داخليون . وهم انما يلتحقون بها بعد اتمام مرحلة التعليم الاجبارى فى مدارس الحكومة ومدتها ثمان سنوات ، فالطالب فى السنة الاولى يكون على أبواب المراهقة اى فى سن الرابعة او الخامسة عشرة . ومواد الدراسة هي القرآن الكريم والعربية والفقه والحديث والتفسير وتاريخ الاسلام وسائر العلوم الدينية مع التوسع فى المعلومات الحديثة الضرورية التى تلقوها فى مدارس الحكومة .

وبعد التخرج من هذه المدرسة يواصل بعضهم التعليم الدينى العالى فى الخارج وخاصة فى مصر ، وكل ذلك على نفقة الهيئة الدينية . وهم يفكرون فى فتح كلية اسلامية

للدراسات العليا ، وربما كان ذلك فى السنة الدراسية القادمة عندما تعيد لهم الحكومة المبنى الذى كان يقع فيه معهـــد الغازى خسروبك قبل الغاء الاوقاف ، فقد علمنا من فضيلة رئيس العلماء ومن الجماعة ان الحكومة وعدتهم باعادته اليهم فى نهاية هذه السنة . وهو مبنى عظيم كما رايناه من خارج وتقع فيه احدى كليات الجامعة الآن .

وفى آخر الاجتماع قمنا بالطواف على اقسام المدرسة فراينا ما اثلج صدورنا وأقر اعيننا بمستقبل الاسلام فى هذه الديار ، فان كل فصل زرناه وجدناه غاصا بالطلبة وليس فيه مكان فارغ ، وحضرنا حصة القرآن الكريم فى احد هذه الفصول وحصة اللغة العربية في فصل آخر، وما من فصـــل زرناه الا وتلا علينا اثنان او ثلاثة من طلبته بعض اى من الذكر الحكيم بصوت رخيم وتجويد كامل حتى خيل لنا اننا نستمع الى مشاهير قراء العالم العربى ، مع ان القوم عجم والاولاد صغار . وفى الفصل الذى حضرنا فيه حصة اللغة العربية أملينا بعض النصائح على الطلبة ، فأمر الاستاذ احد الطلبة بكتابتها على السبورة فكتبها بخط جميل ، وبعد ضبطها وقراءتها امره بتصريف اول فعل جاء فيها ، فاندفع بصرفه فى جميع الاحوال بغير توقف .

وانتبهت الى الكتاب الذى بايديهم ، فاذا هو من المؤلفات

الموضوعة بالخصوص لطلبة العربية اليوغوسلافيين ، مزدوج اللغة ، صفحة بالعربية وصفحة باليوغوسلافية. وكان الدرس في باب التعجب ، وقد صدر بهذا البيت :

ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا

واقبح الكفر والافلاس بالرجل

فعلمت اني في فصل دراسي مبني على اساس من التخطيط التربوي الصحيح ، وان الناس جادون في عملهم ولن يضيع ما ائتمنوا عليه من دين وتراث .

وبمناسبة اقتراب شهر رمضان ، فقد كانت في المدرسة حركة غير اعتيادية لاحظناها لما حل وقت الظهر فبادر احد الطلبة الى استقبال القبلة واذن أذانا كأحسن ما انت سامع في المدينة المنورة مثلا أو مكة المكرمة اداء وتنغيما .

وقالوا لنا انهم يهيئون من طلبة المدرسة 200 طالب للامامة في صلاة التراويح بمختلف مساجد المدينة والقرى المتصلة بها في ليالي رمضان .

وقبل انصرافنا زرنا القسم الداخلي للمدرسة ، والمطعم ، فرأيناهما على احسن ما يكون ، خصوصا وان موارد المدرسة كلها من تبرعات الطائفة الاسلامية ، كموارد جميع المؤسسات الاسلامية من مساجد وغيرها .

وقد حدثونا عن التوقف بل الاضمحلال الذي كانت

ستتعرض له الحركة الاسلامية بعد الغاء الحكومة للاوقاف ، لولا نخوة المواطنين المسلمين وغيرتهم الدينية التى تكفلت بالانفاق على هذه الحركة وتعويض دخل الاوقاف بالتبرعات السخية ، حتى اصبح الموظفون الدينيون من ائمة وخطباء ومؤذنين ومفتين ومعلمين وغيرهم يتقاضون رواتب اعلي بكثير مما كانت لهم في الاوقاف ، بل انهم يتساوون مع موظفى الحكومة فى المصالح الادارية. وهكذا ضرب مسلمو يوغوسلافيا المثل على قوة الايمان وما تستطيع ان تقوم به من اعمال عند التحدى والمواجهة من دعاة الالحاد وخصوم الدين . ولا يقدر فائدة الاوقاف الا من ابتلوا بمصادرتها كاخواننا مسلمي يوغوسلافيا ومسلمى الاتحاد السوفياتى فالعجب من الذين يطالبون بالغائها او بنزع ما تحت يدهامن أراضى وعقار فى البلاد الاسلامية التى حماها الله من هذا الوبال ، خصوصا مع العلم بان مدخولها سوف لا يعود الى ما كان يصرف فيه من شؤون العلم والدين ، وان ما تصرفه خزانة الدولة بعد ذلك على هذه الشؤون ـ أن صرفت شيئا ـ لا يعادل الربع مما كان يصرف عليها من قبل ، فتضيع، ولا ينقذها الا تبرعات المومنين كما حكينا عن يوغوسلافيا.

وقد ابينا ، ونحن على خبرة وتجربة بما تلاقيه المشاريع

من هذا النوع ، من صعوبات مادية ، ان لا نودع هذه المدرسة بدون ان نسهم بمبلغ ولو لم يكن كبيـــرا من المال فى الصندوق الذى يمولها والذى يشرف عليه حضرة السيد عبد الله درويشويج مديرها . علما بان هذا الوجه من خير وجوه الانفاق ، فان اولى ما عنى به الناصحون ، ورغب فى اجره الراغبون ، ايصال الخير الى قلوب اولاد المومنين كما فى الرسالة لابن ابى زيد القيروانى .

ثـــالثـــا ــ زيارة مسجد الغازى خسروبك وصلاة الظهر فيه ، وهو يعتبر المسجد الاعظم فى سيراجيفو ، المدينـــة التى تحتوى على اثنين وسبعين مسجدا ذا مأذنة ، على ما قيل لنا . مع ان سكانها لا يتجاوز عددهم ثلاثمائة ألف نسمة وليسوا كلهم من المسلمين ، وقد سألنا عن هذه المساجد هل تعمر كلها فقيل لنا ان اكثر من نصفها يعمر فى سائـــر الايام ، والباقى انما يعمر يوم الجمعة . ومن ثم علمنا السر فى أعداد 200 تلميذ من تلاميذ المدرسة للامامة فى صلاة التراويح برمضان كما ذكرنا انفا .

ومسجد الغازى خسروبك من اجمل المساجد التى رأيناها هندسة بناء وصنعة زخرف وفراشا بالزرابى وثاثيثا عاما . وهو كبقية مساجد اروبا الشرقية وبلاد العجم التى زرناها ذو ساحة فسيحة تظللها بعض الاشجار وله سقيفـــة

خاصة بالنساء فضلاً عن المرافق الاخرى التابعة له من محل سكنى الامام وغيره من القومه ، ودار للوضوء ثم ناحيـــة للدفن تشتمل على قبور قديمة ، عليها شواهد منحوتة من الحجر ، ويميز الذكر منها بنحت عمامة على الشاهد وبالجملة فان على المسجد فى هذه البلاد مسحة من الروحانية تؤثر فى نفس الزائر اثرا بليغا .

ومما ذكر لنا عن مسجد الغازى خسروبك ان عليه وقفا من الغازى بقراءة ختمة من القرآن يوميا مقسمة على ثلاثين من القراء يقرأ كل واحد منهم جزءا يقدر بحزبيـن في تجزئتنا للمصحف بالمغرب ، وان العمل بهذا الوقف لم يتخلف في يوم ما منذ انشائه قبل نحو من اربعمائة وخمسين عاما ، وقد راينا المصحف الاصلى الذى كانت القراءة فيه اولا وهو مخطوط فى حجم كبير ، ولكنه الآن متلاش ، وعوض باجزاء من مصحف مطبوع .

وبجانب غير بعيد من ساحة هذا المسجد يقع ضريح الغازى خسروبك رحمه الله ، ونفعه بأعماله الصالحة هذه .

رابعا ـ زيارة مكتبة الغازى خسروبك التابعة للجماعة الاسلامية ، وهى اغنى مكتبة بالمخطوطات العربية والشرقية فى يوغوسلافيا ، ويرجع تاريخها الى منتصف القرن العاشر الهجرى ، اذ ان مؤسسها هو الغازى نفسه ، ولكنها تعرضت

للضياع اكثر من مرة ، وخاصة عند اغارة البرنس اوجين
النمساوى على سراجيفو سنة 1697 م. ثم احييت بعد ذلك
وأضيف اليها كتب جديدة من مكتبات اخرى عامة وخاصة من
جميع انحاء بوسنة وهرسك حتى اصبحت اليوم تضم بين
جدرانها حوالى 9000 مخطوط ، ما بين كتاب ورسالة ، كما
تضم الى جانب ذلك 81 سجلا للمحكمة الشرقية في سراجيفو
من القرن 16 و 18 و 19 م وعددا من دفاتر حساب وقف
الغازى خسروبك ، وما يقرب من 400 وقفية ونحو 3500
وثيقة تاريخية من القرن 16 الى منتصف القرن 19م وهذا
عدا المطبوعات من كتب ونشرات دورية وصحف وصور وكل
ما له علاقة بتاريخ مسلمى البوسنة والهرسك وثقافتهم
والاغلبية من كتب المكتبة باللغة العربية والباقى باللغة
التركية ثم بالفارسية .

ويوجد بين الكتب العربية مخطوطات قديمة ونادرة -
تتناول العلوم الاسلامية وبخاصة علوم التفسير والحديث
والفقه كما يوجد بين الكتب التركية والفارسية ما يتسم
بالصفات المذكورة ، وتمتاز المخطوطات التركية بكثرة
المواد التاريخية ، والفارسية بمادة الادب والشعر ، وبعض
هذه المخطوطات تعد من النماذج الرائعة فى جمال الرسم
والخط وتشتمل المكتبة فوق ذلك على مؤلفات كثيرة لعلماء

يوسنة وهرسك باللغات الثلاث ، مثل مؤلفات حسن كافى الامخصاوى البوسناوى (تـ 1025) ومؤلفات احمد بياضى زادة (تـ 1098) ومؤلفات علاء الـديـن علـى ددة (تـ 1008) ومؤلفات احمد بن مصطفى المفتى الموستارى (تـ 1090) ومؤلفات احمد البوسناوى شارح الشعـراء الكلاسيكييـن الفارسيين (تـ حوالى 1005) وغيرهم.

كما تشتمل على مخطوطات تاريخية هامة مثل تاريخ يوسنة باللغة التركية فى اربعة مجلدات لصالـح افنـدى الحاج حسينويج (تـ 1306) وتاريخ سراجيفو لباش اسكى (تـ 1218) بخط مؤلفه وتاريخ انورى وهو يشتمل عنـى اخبار تاريخية وأدبية في 28 مجلدا ويشمل الفترة الواقعـة بين 766 و 1346 هـ الى غير ذلك .

ان هذه المكتبة العظيمة التى ذكرنا بعض الشىء من محتوياتها وتاريخها ، نقلا عن مقدمـة الجـزء الاول مـن فهرسها الذى وضعه العالم الجليل الشيخ قاسم دوبراجا ، والذى يقع فى اكثر من 600 صفحة ولا يحتوى مع ذلك الا على ربع الكتب الموجودة فيها ، ان هذه المكتبـة لتـدل على عظمة تاريخ الاسلام فى تلك الديار التى تعيش فـى الغربة وتكتنفها جدران سميكة مـن العزلـة عـن العالـم الاسلامى والمحيط الثقافى الشرقى وخاصة العربى، وانها

لمعجزة جديدة للاسلام وعقيدته النيرة وكتابه المبين ، تكشف عن مدى الحيوية التى يبعثها فى نفوس اتباعه والوعى الصحيح الذى ينفثه فى قلوبهم ، فيصبحون برغم جميع العوائق والمثبطات رجال علم وفكر ورسل حكمة وثقافة ينيرون السبيل امام قومهم والناس اجمعين .

وكانت زيارتنا لهذه المكتبة عشية ، ولضيق الوقت لم نتمكن من استيعاب نفائسها ، لكن مديرها الفاضل الذى استقبلنا بمزيد الحفاوة قدم لنا بعض نوادرها الحرية بالرؤية ومنها كتاب مسند الفردوس للحافظ الديلمى نسخة مؤرخة فى سنة 546 ومنها كتاب تاج التراجم فى تفسير القرآن للاعاجم ، تصنيف ابى المظفر الاسفرانى تاريخه سنة 579 ومنها نسخة ممتازة من الكشاف للزمخشرى مؤرخة فى سنة 660 ومنها كتاب المقتضب من موضوعات ابن الجوزى تاريخه سنة 626 ومنها كتاب الاربعين الطائية لابى الفتوح الطائى الهمدانى واسمه الكامل كتاب الاربعين في ارشاد السائرين الى منازل المتقين تاريخه 564 وغير ذلك من كتب القراءات والعربية والفقه والتصوف والكلام. واما المصاحف الشريفة فمنها عدد كبير فى غاية ما يكون من جودة الخط والتذهيب وانواع الزخرفة التى تأسر اللحظ وتاخذ باللب . وكذا كثير من

كتب الادعية والتوسل والصلاة على النبى (ص) نفع الله اصحابها وكاتبيها والواقفين بنياتهم ورحمهم وأجزل ثوابهم.

وقد كثر ذكر الغازى خسروبك فى هـذه الكلمـات فيحسن ان نعرف به ولو على سبيل الاختصـار لفائـدة القارىء ولاحياء ذكراه فنقول : هو خسروبك بن فرهاديك البوسنوى المولود سنة 1840 كان والده من رجال الدولة التركية ، وامه سلجوقة بنت السلطان بايزيد الثانى، فهو عريق النسب من طرفيه ، وقد ولى على بـلاده بوسنـة من قبل الدولة العثمانية سنة 1521 ومـات علـى ولايتهـا سنة 1541 م.

ولم يشتهر الغازى خسروبك بوصفه الرجل السياسى والقائد الكبير ، فحسب بل اشتهر كذلك بكونـه رجـل الاعما لالخيرية والمؤسسات الثقافية فمن منشآته المسجد المسمى باسمه فى سراجيفـو والمدرسة كذلك والخـانقاه والكتاب وهذه كلها بجوار المسجد ، والمطبخ الذى كـان يعد الطعام لطلبة المدرسة ولموظفى أوقافه ولفقراء المدينـــة ويوزعه عليهم يوميا . ثم الحمام والمسافر خانة والمكتبة التى ما زلنا فى صدد الحديث عنها والتى اوقفها على الطلبة وسائر المستفيدين .

وبالجملة فقد كان هذا الرجل من مفاخر دولة الخلافة

العثمانية ومن ولاة المسلمين الذين ضربوا المثل في الانشاء والتعمير فازدهرت البلاد في عهده وتقدمت في العلم والحضارة تقدما مشهودا ما تزال معالمه وآثاره ماثلة للعيان الى الآن.

كان برنامجنا يوم السبت حافلا بالزيارات والاتصالات كما رأينا، ولم تخل ليلة ذلك اليوم من نوع آخر من التعرف والاطلاع على احوال اخواننا المسلمين في يوغوسلافيا ، فقد اخبرنا سماحة رئيس العلماء بأن حفلة مولد ستقام تلك الليلة في منزل احدهم بمناسبة اكمال بنائه اى ما يسمى عربيا بالوكيرة ، وأنه يسر صاحبه ان نحضرها مع سماحته ، فلم نر بذلك بأسا ، وبعد جولة في الحي الاسلامي القديم المشرف على المدينة قبيل المغرب ، عرجنا على منزل الاستاذ عبد الله درويشويج الذي يوجد في هذا الحي ، فاستقبلنا احسن استقبال وقدم لنا الشاى وعشاء خفيفا ، ثم ذهبنا الى مكان الحفلة ، وهو المنزل الجديد فوجدناه غاصا بالمدعوين والمدعوات ، واستقبلنا صاحبه بفرح كبير ، ووجدنا فيه جماعة من الاخوان الذين عرفناهم من قبل كامام المسجد الاعظم وغيره . وكان الرجال جالسين في قاعة على مقاعد صفوفا صفوفا ، والنساء كذلك في قاعة مواجهة ، وهن مرتديات

احسن اللباس ومتلفعات بمروط من الحرير مختلفات الالوان والقليل منهن من يرتدين اللباس الافرنجي ، وما استوى بنا المجلس حتى شرع الامام والجماعة التى معه فى قراءة الامداح النبوية بلغتهم القومية مع تعدد الانغام ، وكان المادحون يتناوبون احيانا القراءة على انفراد ، حتي رفيقنا الاستاذ حمدى قرأ بدوره اشعارا منغمة وقرأ قصة المعراج بعد قراءة الامام لقصة المولد ، على ان بعض المقروءات كانت تؤدى بالعربية وتخلل باليوغوسلافية ، والملاحظة العامة علي هذه الامداح والقصص انها قصيرة غير مملة ، وقد تصفحنا مجموعاتها التى كانت بايديهم فوجدناها غاية فى حسن الطبع والتنويع وجلها مكتوب بالحروف العربية. وانغمرنا فى هذا الجو الروحانى ، لا سيما مع ما رأيناه من تأثر القوم وخشوعهم فألقيت حديثا فى موضوع المولد الشريف معتمدا فيه على ما صح من الرواية وما ايدته حقائق التاريخ ، كما القى الاخ الاستاذ الدكالى حديثا آخر فى معجزاته (ص) ، وكان الاستاذ حمدى يوسف ينقل كلامنا الى لغة القوم فقرة بفقرة . واديرت على الحضور كؤوس المشروبات المتنوعة ثم وزعت عليهم قراطيس بها قطع من الحلوى السكرية مطبوع عليها بالعربية كلمة مولود شريف مع كعكعة كبيرة بحجم الرغيف ، وقال لنا امام

المسجد ان مثل هذه الحفلات تقام يوميا تقريبا بمناسبة العقيقة والختان والقران وغير ذلك من المناسبات وبعضها يكون بالاكل ، وسألنا هل يعطى المادحون مكافأة مالية فقالوا نعم .

وانصرفنا وقد شهدنا تجمعا شعبيا له طابع دينى شبيه بما يكون عندنا فى المناسبات المذكورة ، مما يثبت وحدة المجتمع الاسلامى شرقا وغربا فى المظاهر والعادات زيادة على وحدته فى العقيدة والشعور .

وكنا يوم الاحد على موعد مع رحلة جميلة الى مدينة دبوى على بعد نحو 180 كيلومترا من سراجيفو ، لتدشين مسجد جديد فى قرية بضاحيتها تسمى باريجى ، وقد بكر الاخوان بأخذنا الى مقر الرياسة الدينية حيث الفنا موكبا مع رئيس العلماء ولقينا هناك صديقنا الاستاذ حسين جوزو الذى كان فى الاتحاد السوفياتى، وقدم امس بعد ما شارك فى مؤتمر طشقند الاسلامى، فانضم الينا وأخذ الموكب طريقه الى المدينة المذكورة ، وكان اليوم نديا فسرنا على مهل فى طريق مكتنف بالاشجار والجبال والاودية ، والثلوج تلوح لنا من بعيد مكللة القمم العالية ، والشمس تبدو احيانا من خلال السحاب فتعكس اشعتها الثلوج البيضاء ، ويتكون من ذلك منظر كأحسن ما انست راء .

والحقيقة ان بلاد بوسنة جميلة جدا ، وهى غنية بالغابات والانهار، فالسياحة فيها متعة كبيرة ، وقد توقفنا فى الطريق غير ما مرةحيث تناولنا طعام الفطور ، وزرنا بعض المساجد فى القرى التى تقع على طريقنا، وما اكثرها وأكثر منها القرى الواقعة فى الجبال والتى تبدو لنا بمساجدها ومئذناتها الرشيقة كأنها لوحات فنية بديعة محاطة باطار من الخضرة الجميلة تملك الانظار. وقيل لنا ان اكثر هذه المساجد جديدة وان جملة ما بنى من المساجد فى يوغوسلافيا اثناء السنة الماضية خمس مائة مسجد.

ومن القرى التى مررنا بها فى طريقنا قرية تشليتش وهى قرية ذات مياه معدنية لها شهرة كبيرة ، ويصدر ماؤها معبأ فى قنانى زجاجية لجميع انحاء العالم ، ولا سيما لامريكا والمانيا ، ويقولون انه ذو مفعول كبير فيما وضع له الشيخ ابن كمال باشا كتابه رجوع الشيخ الى صباه.

ولما وصلنا الى مدينة دبوى استرحنا قليلا فى مركز الهيئة الاسلامية ، واستعددنا بالوضوء والتهيء للحفل الذى نحن مقبلون عليه ، ثم اخذنا طريقنا الى القرية سابقة الذكر التى يراد تدشين مسجدها الجديد ، فسرعان ما وصلنا اليها ووجدنا فى استقبالنا آلافا من المومنين الذين جاءوا من الاماكن المجاورة لمشاركة اهلها فى هذا

الحفل الديني البهيج ، واخترقنا الصفوف الى منصة وضعت بواجهة المسجد ، وهناك القى امام المسجد كلمة حيا فيها الرئيس والوفد المصاحب له، ثم القى الرئيس كلمة ضافية كانت تقابل بتصفيقات الحاضرين ،وتكلم الاخ الاستاذ السيد عبد الرحمن الدكالي وكاتب هذه السطور، وكانت كلماتنا نحن الاثنين تترجم من طرف الاستاذ حمدى الى الجمهور. كما تكلم رئيس الطائفة الكاثوليكية ورئيس الطائفة الارثوذكسية ، اذ كانا قد حضرا الحفل تضامنا مع الطائفة الاسلامية ، وهذه هي الطوائف التي تمثل الاديان الكبرى المتبعة في البلاد. وهذا التضامن كما لا يخفى له اكثر من مغزى في بلاد تاخذ حكومتها بالمذهب الشيوعي ، وعند الانتهاء من الخطابة دخلنا المسجد وصلينا به صلاة الظهر وما لبثنا حتى اذن للعصر فصليناها ، وخرجنا بعد ذلك لتناول طعام الغداء ، في العراء حيث نصبت الموائد تحت الاشجار الباسقة وعليها ما لذ وطاب، وكان الطعا ممن الكثرة بحيث اكل جميع الحاضرين ، وهم يعدون بالآلاف، وبقيت كميات كبيرة كانت من نصيب الفقراء والمعوزين الذين وجدوا هناك.

وعدنا الى سراجيفو التى وصلناها بعد العشاء ، لنستانف من الغد الذى هو يوم الاثنين زيارات ولقاءات كانت مقررة في البرنامج.

وبالفعل فقد قمنا صباح ذلك اليوم بزيارة الهيئة الدينية الحكومية بالمجلس التنفيذى لجمهورية بوسنة والهرسك ، حيث قابلنا رئيسها بمنتهى المجاملة ، ودار الحديث اثناء تناول القهوة على العلاقات الطيبة بين يوغوسلافيا والمغرب وعن النهضة العتيدة لكلا البلدين بقيادة زعيميهما الرئيس تيتو وصاحب الجلالة الحسن الثانى . وتبين لنا من خلال الحديث ان رئيس الهيئة الدينية الحكومية على حظ كبير من المعرفة والتهذيب.

ثم ودعناه على موعد اللقاء فى نفس اليوم لتناول طعام الغداء الذى تقيمه الهيئة تكريما لنا .

وزرنا بعده رئيس مجلس مدينة سراجيفو السيد جمال مومناغيبج الذى رحب بنا كثيرا وتحدث الينا عن مدينته ونموها العمراني والاجتماعي والصناعي، مشددا على بيان الفوارق الكبيرة بين ما كانت عليه قبل نحو ربع قرن وما صارت اليه الآن. وكانت امامنا على الحائط خارطة كبيرة للمدينة فكان يستعين بها على شرح ما يقدمه الينا من معلومات فى هذا الصدد. وتناولنا بعض المشروبات وشكرناه على لطفه وحسن مقابلته ثم قمنا بجولة في بعض

احياء المدينة واطلعنا على بعض معالمها التاريخية ، ومنها الجسر الذى اغتيل عنده ولى عهد النمسا وكان ذلك سببا فى قيام الحرب العالمية الاولى سنة 1914. وقد وضعت على جانب الطريق الموالى له بالمكان الذى وقع اطلاق النار منه رخامة تحمل صورة قدمى الشاب الذى اغتاله كما كان واقفا مقدما رجلا ومؤخرا اخرى ، بحيث امكنه الفرار والوثوب من ظاهر الجسر الى قعر النهر. وكان عمله هذا يعتبر مفاداة وطنية ، فهو كالشهيد علال بن عبد الله بالنسبة الى قضيتنا الوطنية ايضا. ولذلك اقيم فى المكان نفسه متحف يضم آثار هذا الشاب ومخلفاته البسيطة تخليدا لذكراه وتمجيدا لتضحيته الكبيرة.

وفى الظهر حضرنا حفلة الغداء التى اقامتها الهيأة الدينية الحكومية للجمهورية تكريما لنا بالفندق الذى ننزله وقد دعى اليها عدد هام من الشخصيات الثقافية والاجتماعية فى المدينة بين مسلمين وغيرهم . زيادة على رئيس العلماء وبقية الرفقاء من الرياسة الدينية الاسلامية . والقى رئيس الهيئة الدينية الحكومية المضيفة كلمة جدد فيها الترحيب بنا والكلام على العلائق الطيبة القائمة بين المغرب

ويوغوسلافيا وحالة المسلمين هناك، وقد اجابه الاخ الاستاذ الدكالى بكلمة جامعة كان لها وقع حسن فى نفوس الجميع وافترقنا على امل تكرار مثل هذه اللقاءات التى لها تأثير كبير فى توطيد علاقات التعارف والتعاون بين البلاد والشعوب المتطلعة الى مستقبل افضل وغد احسن.

وكان يوم الثلاثاء فى البرنامج، مخصصا لزيارة مدينة موسطار عاصمة بلاد الهرسك، وهى مدينة ذات آثار تاريخية وثقافية ، فضلا عن مناظرها الطبيعية الجميلة ؛ ولذلك يقصدها السياح من جميع الانحاء.

وقد بكرنا بالخروج صحبة الجماعة ، وسرنا فى طريق جبلى جميل ، قطعناه فى نحو ثلاث ساعات ونصف، لان المناظر الطبيعية التى مررنا بها كانت تغرينا بالتوقف فالانهر والغابات والجبال المشجرة التى لا ترى فيها مكانا عاريا الا للقرى واماكن السكنى ، مما يبهج النفس ويسر القلب، وتسرح فيه العين فلا تمل من النظر ، سيما مع تعدد المناظر وتميز كل واحد منها بسحره الخاص.

واعترضتنا فى طريقنا كذلك بعض القرى التى استقبلنا ناس من اهلها وزرنا مساجدها بين قديم وجديد، وهى لا تختلف عما وصفنا به المساجد سابقة الذكر الا فى الكبر والصغر .

ولما وصلنا الى مدينة موسطار طفنا ببعض معالمها الاثرية ، واسترحنا قليلا بمقر الهيئة الدينية فيها، ثم قصدنا المسجد وصلينا فيه الظهر وتحدثنا الى امامه وبعض الاخوان المصلين الذين حضروا صدفة ، ثم ذهبنا الى احد المطاعم لتناول طعام الغداء ، وهو مطعم يمتاز بالطابع المحلى للمدينة ، سواء من حيث البناء او التأثيث او ما يقدمه من انواع الاطعمة ، وهو كعبة السياح الذين يزورون موسطار ، وصاحبه مسلم من اهالى البلد، وقد حضر معنا فى الغداء بعض اعيان الموسطاريين المسلمين وجرى الحديث عن ماضى هذه المدينة الاسلامية وتاريخها الحافل فى الجهاد والعلم ومن نبغ بها من رجال السيف والقلم ، وهنا فاضت قريحة الرفيق الشاعر الاستاذ عبد الرحمن الدكالى ، فارتجل هذا البيت الذى جعله مطلعا لقصيدة يخلد بها ذكرى هذه الزيارة ، وهو :

موسطار، الف تحية وسلام يا قلعة الايمان والاسلام

وذكرنا كذلك المآذن، وخصوصا فى سراجيفو، مع الاعجاب برشاقتها وانطلاقها فى الجو كالصواريخ، فأنشد احد الاخوان بيتا لشاعر تركى يقول فيه : ان المآذن

اقلام تكتب على لوح السماء آيات التوحيد، فأعجبنا بهذا المعنى . .

وخرجنا من المطعمفمررنا على قنطرة موسطار الشهيرة وهى قنطرة مبنية بالحجارة على نهر المدينة، ذات علـو شاهق ، بحيث تبدو كأنها معلقة فى الفضاء ، وقد رصفت ارضيتها بالحجارة فى شكل مدرج مستوى الوسط ، ولكن من غير ان يشعر المار عليها بأنه يصعد او ينـزل ، لان احديدابها يسير وذلك هو الذى جعلها آية من آيات المعمار وقد كنا ونحن نمر عليها مختلطين بعدد كبير من السياح، وقيل لنا انها تكون اكثر ازدحاما بهم فى غالب الاوقات. وذهبنا من ثم الى زيارة عين يونه فى طرف المدينة وهى فى الحقيقة نهر فى جذر جبل شاهق، وتوجد عندها تكية كانت خلوة لاحد الصوفية ، وهو مدفون هناك ، وقد اقيم بجانبها مقهى مشرف على العين ، وهو مقهى متواضع على الشكل الشرقى القديم ، ولكن موقعه رائع جدا وعلمنا ان الحكومة ارادت ان تحوله الى مركـز سياحـى عصـرى ، فاعترض مسلمو البلد على ذلك ، لما فيه من مس بقداسة التكية ، فعدلت عن ذلك احتراما لشعور المسلمين ، وان كان السياح يزورون التكية ويجلسون فى المقهـى بكـل حرية .

واذ نحن فى هذا المكان زارنا السيد صالح ميلاغيش وهو شاعر مشهور عندهم ، وقد انشدنا من شعره فــى التنويه بتاريخ بلاده وماضيها الاسلامى الشىء الكثير.

وحمل الينا احد فلاحى الناحيــة رمانــا فتخاطفتــه الجماعة ، فقال لناالشاعر ميلاغيش ان هناك حكمة تقول : الرمان كله خير ، والسمك كله شر ، وقليل من السمك خير من كثير من الرمان ، وهى حكمة ذات مغزى عميق فى الحض على القصد والاعتدال .

وغربت الشمــس او كادت ، وكــان في البرنامج زيــارة عينين اخريين احداهما تسمى بلاغاى والاخرى بوجيتهل ، ولكن ضيق الوقت منعنا من ذلك فأخذنــا طريقنــا الــى سراجيفو، ولما وصلناها قصدنا ادارة المسجد حيث كان فى انتظارنا بعض علماء بوسنة وهرسك الذين رغبوا فى الاجتماع بنا . وتناولنا طعام العشاء وسهرنا مــع هــؤلاء الاخوان ، وكان من بينهم الاستاذ بسيم قرتــوك ، وهــو صديق لى قديم وبينى وبينه مراسلات وبيته بيت علــم ، وقد كان اهدى الى محبرة فضية لجده الذى كان قاضيــا بسراجيفو ايام حكم الاتراك ، وقد سررت كثيــرا بلقائــه

ورؤيته، وانتحيت واياه جانبا فحدثني عن اعماله ومشاريعه العلمية التي اعرف انكبابه عليها ومن جملتها ترجمة القرآن الكريم الى اليوغوسلافية ، اذ كانت الترجمات التي توجد، ينقصها كثير من التحرير في نظره ، وتذاكر معي في معنى بعض الآيات وكيف ترجمها، مما علمت منه انه دقيق في عمله. وسيادته عضو في معهد الابحاث ، وقد سبق ان نشر له المعهد بعض الاعمال الهامة .

واخيرا ودعنا هؤلاء الاخوان، اذ كان برنامج الرحلة قد انتهى ، وأردنا ان نودع سماحة رئيس العلماء ورفاقه فأبى الا يكون معنا في الصباح عند مغادرة البلاد ، وهكذا لم يفارقنا منذ هبوطنا مطار سراجيفو الى ان اقلعنا منه هو وبقية العلماء الذين ذكرنا اسماءهم من قبل ، فجازاهم الله خيرا ، وأبقاهم لخدمة الاسلام والمسلمين في تلك البلاد.

الملتقى السادس بالجزائر للتعرف على الفكر الاسلامى

انعقد هذا الملتقى بقصر الامم على بعد نحو ٢٤ كيلومترا من الجزائر العاصمة ، فى يوم ١٣ جمادى الاخرة عام ١٣٩٢ ودام الى يوم فاتح رجب ، فهى ثلاثة اسابيع تقريبا . وشارك فيه زهاء خمسين استاذا محاضرا ، ومثلهم من المعلقين والمناقشين ، ما بين رجال ونساء وعرب وغيرهم ، من مختلف البلاد الاسلامية ، ثم بعض المستشرقين الاجانب . وهذا فضلا عن طلبة الجامعة والاقسام الثانوية العليا من ابناء الجزائر الذين قيل لنا ان عددهم ربما بلغ الالف وزملائهم من طلبة بعض البلاد الاسلامية المدعوين ، وقد كان من بينهم اربعون طالبا وطالبة من المغرب .

وانا لم احضر الملتقى من اول يوم ، وانما حضرته فى الاسبوع الاخير ، لاعذار طارئة . ومن اول وهلة تبين لى الفارق الكبير بينه وبين الملتقى الذى كنت حضرته منذ ثلاث سنوات (بمفتاح) فى ضاحية الجزائر .

فذاك كان خاصا بالطلبة ، وكنا نحن المحاضرين نقيم بالعاصمة ، ونحضر فى وقت محاضرتنا مع المشرفين على الملتقى ، وقلما يحضر من الاساتذة المدعوين احد ، واكثر ما يجرى بعد المحاضرة هو اسئلة الطلبة .

اما هذا فقد جمع فى مكان واحد بين المشرفين وعلى راسهم السيد وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية مولود قاسم والمحاضرين والمعلقين والمناقشين والطلبة وسواهم من بقية المدعوين .

ثم انه بعد المحاضرة التى يشترط ان لا تتجاوز ٤٥ دقيقة تجرى المناقشة والتعليق من طرف الاساتذة الحاضرين ، وبعدها تفتح باب لاسئلة للطلبة مما يضفى على الملتقى الحيوية والانتباه والنشاط .

وكان الملتقى السابق انما يبتدىء اشغاله عشية بعد صلاة العصر جماعة في مكان أعد لذلك ، ثم صلاة المغرب جماعة ايضا بعد الفراغ من الاسئلة . فهى محاضرة واحدة في اليوم . أو على الاقل هذا ما رأيته ، اما هذا فالمحاضرات التى تلقى فيه يوميا ثلاث ، اثنتان فى الصباح وواحدة فى المساء ، ومحاضرة المساء كانت تلقى فى تمام الساعة الرابعة اى بعد اذان العصر بنحو عشر دقائق ، ولا يقف العمل لصلاة المغرب ، وانما على

المصلين ان يتسللوا افرادا لادائها .

وهذا باستثناء يوم الجمعة الذى كانت تلقى فيه محاضرة واحدة فى الصباح . ثم يذهب الجميع الى صلاة الجمعة فى موكب حافل يلفت الانظار .

وعلى كل فقد خطا الملتقى خطوات واسعة سواء من حيث الاعداد له او التنظيم او الجو الثقافى الذى يهيمن عليه . واكثر المحاضرات كانت فى المستوى الذى جعل من الملتقى مبادرة فريدة تتيح لطلبتنا من وسائل التوعية الدينية والتعريف بالفكر الاسلامى ، فى ايام معدودة ، مالا يجدونه فى كتاب ولا يتلقونه فى درس ، كما قلت فى مقدمة محاضرتى .

وانا وان لم استمع الى جل المحاضرات ، ولم احضر النقاش الذى دار حولها ، بسبب تاخر وصولى الى الجزائر ، فانى قرات بعضها واستمعت الى الاصداء التى تركتها فى الابهاء نقدا وتقريظا ، ثم استمعت الى محاضرات الاسبوع الذى حضرت فيه ، والتعاليق والاسئلة التى عقبتها ، فقست الغائب على الشاهد ، وبذلك امكننى القول ان اكثر المحاضرات كانت فى المستوى ، بخلاف ما كان يذهب اليه بعضهم فى احاديث الكواليس ، وربما لمح فى تعليقه ، من نقد موضوع المحاضرة اساسا ، وملاحظة عدم لتعرض

للقضية او الفكرة الفلانة ، فان هذه انانية فكرية تفرض نفسها على الناس ، ولو كان صاحبها مفكرا حقـا لاحترم افكار غيره ، وعلم ان موضوعه ان كان محاضرا قد لا يعجب الكثير من الناس ، وان عليه ان كان غير محاضر ، ان يتقدم بمحاضرة فى ذلك الموضوع لا ان يمليه على غيره . ومن المؤسف ان يتعـرض الملاحـظ لمثـل هـذه البديهيات فى اجتماع عظيم كملتقى الفكر الاسلامى .

وبالمناسبة اشير الى ان بعض التعاليق كانت تخرج عن الموضوع ، فتارة تكون حديثا صرفا عن معلومـات اولية وبسائط معروفة لكل احد ، فتاخذ من الوقت ما لو صرف فى صلب الموضوع لكان افيد وانفـع . وكثيرا ما كان السيد الوزير رئيس الملتقى ينبه المعلقين من هذا القبيل على ذلك . وتارة تكون جدلا عقيمـا فى فكرة فلسفية او نظرية اجتماعية لها مقابل فى الفلسفة وعلم الاجتماع ، فينتقد المعلق المحاضر من هذه الزاوية ويرد المحاضر من الزاوية المقابلة ويصفق الطلبة للمعلق والمحاضر معا ، وتكون النتيجة بلبلة فى الافكار وضياعـا للوقت من غير طائل .

على ان التيار القوى الذى كان يهز الملتقى فى جميع اعماله هو تيار الاسلام ، والاسلام الصحيـح النقى الجوهر الصافى المنبع ، غير الملون بفكر او مبدا من هذه المذاهب المستوردة والطاغية اليوم على العالم

من شرق وغرب . وقد يهفو بعض المتكلمين فيجنح يمينا او يسارا ، ولكنه لا يلبث حتى يقوم متكلم آخر فيصحح الوضع ويضع النقط على الحروف ، فتنهار تلك العلالى والقصور المبنية بالمواد الاجنبية والتى لم تق من جربوها من ابناء ملتنا حرا ولا بردا ، وانما زادتهم خبالا وضلالا .

وقد وجدت صدى محاضرة احد المستشرقين - زعما - عن الشيوعية المحمدية ، ما يزال يتردد بين الملتقين ، وهو شيوعى يوغوسلافى جاء يدعو الى الشيوعية فى ملتقى الفكر الاسلامى ، ولكن الملتقين كالوا له بالمكيال الاوفى ، كما فعلوا مع غيره من المستشرقين المزعومين ، كالاسبانى الذى انكر محاكم التفتيش واجبار المسلمين من الموريسكوس على التنصر ، وكانت وقاحة هذين (المستشرقين) بالغة الى حد التحدى ، مما جعل الملتقين يستغربون استدعاءهما ويطالبون بطردهما وحمل الوزير على الافضاء ببيان فى الموضوع قال فيه انه لا يعرفهما وانه انما طلب من بلادهما ان تبعث بمن يمثلها فى الملتقى من اهل العلم المشتغلين بقضايا الاستشراق ، فكان ان بعثت هدين (النموذجين) ولقد قال لى احد المستشرقين الاسبان هنا لما علم بالشخص الذى حضر من اسبانيا ، لعلهم انما بعثوه لكونه يتكلم

الفرنسية . فقلت له ، انهم كانوا احرياء ان يبعثوا بمن يتكلم العربية لا الفرنسية ، لان العربية هى لغة الملتقى، وذلك كما فعل الالمان والانكليز ، وكان ممثلوهم من احسن عناصر الاستشراق .

والخلاصة ان عطاء الملتقى بالنسبة الى التعرف على الفكر الاسلامى كان عظيما ، ومجزيا جدا ، ولو لم يكن من عطائه الا تخليص الاسلام وتجريده من كل صبغة اجنبية وتاثر غريب عنه لكان كافيا .

وبخصوص مشاركتى فقد القيت محاضرة بعنوان (مستقبل الاسلام بيد ابنائه) الممت فيها بنشوء الفكر الاسلامى الحديث ، الذى قاوم المطاعن والتهجمات التى تعرض لها الاسلام فى اول هذا القرن ، وكون عند المسلمين وعيا بالمشاكل التى تعترض حياتهم الدينية فى العصر الحديث ، وهذا قبل ان تهاجمهم الانظمة السياسية والمذاهب الاجتماعية والاقتصادية المتكاملة ، فتلف الحياة الاسلامية فى ثياب الابتذال والاستلاب ، بسبب سقوط الخلافة الاسلامية وانقسام العالم الاسلامى على نفسه . ولذلك دعوت حكام المسلمين الى الرجوع للمنبع الصافى وهو الشريعة الاسلامية والحكم بمقتضاها تقريبا لشقة الخلاف بينهم ودعوت المفكرين المسلمين الى وقف الدعوة للاسلام الملون بالايديولوجيات

المختلفة وعرض الاسلام كما هو طاهرا منقى من جميع العوامل والافكار الدخيلة ، فلن تجتمع كلمة المسلمين اليوم الا على ما اجتمعت عليه كلمتهم بالامس .

وقد اثارت المحاضرة عدة تعاليق اجبت عنها كلها واجبت على بعض اسئلة الطلبة ، اذ بلغت الساعة السابعة مساء ولم تنته الاسئلة .

وكنت قد عزمت على الرجوع فى نهاية الملتقى يوم الخميس وحجزت بالفعل مكانى بالطائرة ، لكن الوزير طلب منى ان ابقى ليوم الجمعة حتى القى درس ما قبل الخطبة بمسجد النور بالمدينة التى كان الملتقون سيؤدون بها صلاة الجمعة الثالثة ، قائلا ان درس الجمعة الاولى قد القاه فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر الدكتور محمد الفحام بجامع كشتاوة ودرس الجمعة الثانية القاه فضيلة العلامة الشيخ الشاذلى بن القاضى من علماء الزيتونة بجامع مليانة . ولابد للقرويين ان تمثل بدورها فى هذا الميدان ، فقلت : ان كنت سابقى لمهمة فبها ونعمت .

وكذلك ذهبنا صبيحة يوم الجمعة الى مدينة المدية ، وصلينا بمسجدها ، وهو مسجد جديد عظيم ، وكان موضوع درسى الاية الكريمة (ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) ربطا بين مضمونها وموضوع الملتقى . ورجعنا بالمساء الى الجزائر حيث بقيت الى

يوم الاحد ، فعدنا الى المغرب انا والاخوان الدكتـــور المهدى بن عبود ومولاى مصطفى العلوى من اعضـــاء الوفد المغربى : اذ بعد يوم الخميس لا تقوم طائرة مـن الجزائر الى المغرب الا يوم الاحد .

ولا احتاج ان انوه بما لقيناه من العناية وكـــرم الضيافة من لدن الوزارة الداعية للملتقى ، ومن لـــدن الاصدقاء والاخوان الجزائريـــين ، حتى اننا فى اكثـر الوقت كنا نتلقى دعوات خاصة لمآدب كريمة فى بيوت هؤلاء الاخوان فنستجيب لبعضها ونعتذر عـن البعـض بسبب ضيق الوقت وبعد المكان ، فشكـرا للجميـــع ولسفارتنا بالجزائر التى لم تقصر ايضا فى الاكرام .

المجلس التأسيسي لرابطة
العالم الاسلامي بمكة

لما بلغنى نبأ انتخابى لعضوية المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، انتابنى شعور عميق بالمسؤولية الجديدة ، جعلنى أقابل هذا النبأ بغير ما يستحقه من الغبطة والسرور . ذلك أنى أصبحت في حالة مرضية تكاد تكون ملازمة ، لم أفتأ معها أتخفف من كثير من الالتزامات واعتذر عن كثير من الدعوات فكيف أنهض بهذا العبء على هذه الحالة ؟ ولكن هذه مكة والبيت الحرام والكعبة المشرفة وزمزم والصفا والمروة ومنى وعرفات وغيرها من الشعائر والمشاعر ، بالاضافة الى العمل لاعلاء كلمة الله ونصرة دينه والدعوة الى صراطه المستقيم . فهل أكون ممن قال فيهم الرسول (ص) : « عجب ربك من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل » ؟ ....

وأشرقت ملامحى، وغمرت الفرحة قلبى، وانقلب التفكير عملا فأجبت على رسالة السيد الامين العام للرابطة الذى بلغنى قرار المجلس بالقبول ، وبدأت رسائل التهنئة تصلنى من اخوان أعرف بعضهم شخصيا والبعض الآخر على خط الجهاد . فزادتنى ايمانا وتثبيتا . ومنها رسالة من معالى وزير العدل بالملكة السعودية آنذاك الشيخ محمد الركان ورسالة من سعادة سفير الاردن بجدة الشيخ محمد الامين الشنقيطى ورسالة من فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى مصر سابقا وعضو جماعة كبار العلماء . وسيادة الاستاذ كامل الشريف عضو المؤتمر الاسلامى العالم بعمان

وسماحة السيد أبى الاعلى المودودى الامين السابق للجماعة الاسلامية بباكستان وسماحة الشيخ ابراهيم نياس رئيس الاتحاد الاسلامى الافريقى بالسنيغال رحمه الله ومن غيرهم من الاصدقاء بالمغرب وخارجه ، فضلا عن تهانىء زملائى برابطة العلماء وتلاميذى الذين ارادوا أن يقيموا لى حفلا تكريميا بالمناسبة فاعتذرت لهم ، كما اعتذرت من قبل للذين كانوا يريدون تكريمى بمناسبة اختيارى لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ خمس عشرة سنة .

وصرت أتلقى تباعا رسائل الامين العام لرابطة العالم الاسلامى الشيخ محمد صالح القزاز المتعلقة بمقررات المجلس التأسيسي ونشاط الرابطة في مختلف أرجاء العالم الاسلامى والتحركات المطلوبة من أعضاء المجلس ازاء الاحداث المستجدة في البلاد الاسلامية ، ومنها ما يرجع الى الفترة السابقة لعضويتى أى الى سنة 1394 . وهو أمر يدل على حيوية هذه المؤسسة وديناميكية أمينها العام ، نأتوم بما يلزم لجعل هذه الرسائل تعرف الجواب والايجابية المطلوبين ....

ومن هنا يعلم أن المهمة ليست تشريفا وانما هي تكليف وان اعتبارى لها مسؤولية جديدة كان في محله ولكن الله المستعان .

وجاء موعد انعقاد الدورة السنوية للمجلس التأسيسي للرابطة بمكة المكرمة ، وقد تحدد بالخامس عشر من شهر ذى القعدة عام 1395 حتى فاتح ذى الحجة متم العام . ولكنى لم

أحضر جلسة الافتتاح ولا ما بعدها الى خمسة أيام ، نظرا لان الطائرة السعودية لا تقوم من الدار البيضاء الى جدة الا يوم الخميس من كل أسبوع فتأخر سفرى لاجل ذلك .

وقد علمت أن جلسة الافتتاح جرت بمقر الرابطة بمكه في موعدها المحدد وأن فضيلة الامين العام ألقى كلمة بين فيها الغرض من الاجتماع بعد ما رحب بوفود البلاد الاسلامية من أعضاء المجلس الذين بلغوا 28 عضوا .... وانتخب المجلس رئيسا له، سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، وشكل خمس لجان لدراسة التقرير العام الذى قدمه الامين العام عن نشاط الرابطة وما قامت به من أعمال في السنة الفارطة للنظر فيما يتضمنه جدول أعمال الدورة الحالية من تقارير واقتراحات، وهذه اللجان هي : اللجنة الفقهية اللجنة السياسية ، اللجنة المالية والادارية ، اللجنة العامة ، لجنة الصياغة .

وقد علمت أننى عينت رئيسا للجنة العامة ، ولكننى اخترت اللجنة السياسية وكان عملنا صباحا الى ما بعد الظهر ينصرف الى المجلس ، ومساء في اللجان . وتداخل الامر بالنسبة الى . اذ كان العمل في اللجنة العامة يتعثر ، فأشعرنى سعادة المدير العام للرابطة الشيخ محمد صفوة السقا امينى بأن هذه اللجنة ما تزال في انتظارى ، فاضطررت الى العمل في اللجنتين معا السياسية والعامة ، واحدة بعد العصر والاخرى بعد المغرب، وكان أن اندمجت لجنة الصياغة في اللجنة العامة

فاستمر العمل فيها الى ما بعد الفراغ من اللجنة السياسية واللجان الاخرى التى شاركت في بعضها أحيانا مثل لجنة ترجمة القرآن التى تفرعت عن اللجنة الفقهية .

ويوم حضورى الاول في اجتماع المجلس التاسيسي رحب بى السيد الامين العام بكلمة طيبة وألقيت كلمة (1) وشكرنى عليها السيد الرئيس واقترح الشيخ مخلوف طبعها وتوزيعها على الاعضاء فنفذ الاقتراح بعد موافقة المجلس عليه .

ان التقرير العام الذى وضع بين أيدينا والذى كتبه الامين العام كان تقريرا قيما بما احتواه من أفكار بناءة وأعمال قامت بها الرابطة في سنة 94 ومشاريع تنوى القيام بها فيما يستقبل من الايام وكلها في صميم العمل الاسلامى الذى تنهض به الرابطة في مختلف الميادين من سياسية وثقافية واجتماعية ، وفي مختلف البلدان الاسلامية بافريقيا وآسيا والبلدان التى يوجد بها مسلمون بأوربا وأمريكا . ويطول بنا الامر لو تبعنا محتويات هذا التقرير ، وقد نال الموافقة والتأييد من أغلبية الاعضاء .

أما القضايا التى طرحت على المجلس وتداولها بالدرس والمناقشة وابداء الرأى ، واحيلت على اللجان المختلفة لمزيد البحث والاستقصاء ثم اتخاذ القرارات العملية بشأنها فهي :

1ـ توجد هذه الكلمة في آخر هذا الحديث

المسلمين في مختلف البلاد بالمنح والكتب وجماعات تحفيظ القرآن وغيرهم. مما للرابطة فيه يد طولى تذكر وتشكر

كما قرر المجلس الموافقة على عقد مؤتمر اسلامى افريقى في بحر السنة القادمة بنواكشوط عاصمة موريطانيا تحت اشراف الرابطة وبالتعاون مع الحكومة الموريطانية .

وفي المجال الفقهي قرر المجلس عدم جواز استبدال ذبائح الهدى بثمنها ردا على ما أفتى به المجلس الاسلامى الاعلى بالجزائر ، وحرمة تناول الاطعمة المستوردة من البلاد الاجنبية كالجبن الذى يخالطه شيىء من الخنزير والحيوان الذى لا يذبح ذبحا شرعيا وغير ذلك .

وفي مسألة ترجمة القرآن الى اللغات الاجنبية قرر المجلس أنه يتحفظ بازاء كثير من الترجمات الموجودة ، وان الترجمة الصحيحة انما تكون لمعانى القرآن التى يجب أن يقوم بها جماعة من أهل العلم بالتفسير وسائر العلوم الاسلامية ، ثم يضطلع بنقلها الى اللغة المطلوبة لجنة من العارفين بهذه اللغة مع اشتراط أن يكونوا مسلمين متدينين سليمى العقيدة وأنه يتخذ العدة للقيام بهذا العمل الجليل .

وكانت هناك بعض الملاحظات على احدى الترجمات الفرنسية التى وضعها أحد العلماء المسلمين الموثوق بهم ، فاقترح المجلس احالتها على لجنة من أعضائه للنظر فيها ، ولكنى لاحظت أن هذه اللجنة غير متمكنة من المعرفة باللغة

1) قضية فلسطين والقدس الشريف وكان قرار المجلس فيها مؤيدا لمطالب اخواننا الفلسطينين من اقامة دولـــة فلسطينية مستقلة على انقاض دولة العدوان والمعارضة القاطعة لتدويل القدس الذى ينادى به بعض المخذولين من العـــرب والمتظاهرين بمحبة السلام من غيرهم .

2) قضية الجنوب العربى الـذى انحـرف عـن الخـط الاسلامـى .

3) قضايا الاقليـات الاسلاميـة كقضيـة المسلـمين في الفلبين ومسلمى فطانى ، والمسلمين في بورما ، وقضية قبرص والمسلمين في تركيا الغربية ومكدونيا ومسلمى الهند ، والمسلمين في افريقيا الجنوبية ، ومحنة الاسلام في الصومال . وقضيـة ارتيريا وقضية عفر وغيرها . وقد اتخذت فيها جميعا قرارات بالتأييد وبذل المعونة المادية والمعنوية والاتصال المباشر بمن يهمهم الامر من أهل هذه البلاد والمسؤولين في الدول الاسلامية للتدخل بما يحقق آمال اخواننا المسلمين المضطهدين ، في التحرر والانعتاق وتخفيف وطأة المستعمرين والحاقدين عنهم .

وطرحت أيضا مسألة القاديانية ، وفيلم محمد رسول الله والصورة الخيالية للنبى (ص) التى نشرتها موسوعـة لاروس في طبعتها الجديدة وقضايا أخرى كثيرة تتعلق بمساعدة المراكز الاسلامية في أوروبا وامريكا والمساجد التى في طـور البناء أو المزمع انشاؤها في عدة بلدان شرقية وغربية ودعـم بعض المنظمات والمدارس الاسلامية وامداد عدد من الطلبـة

الفرنسية الى الحد الذى يجعلها تحكم على عمل أدبى رفيع كترجمة القرآن . فتطوعت بأن أعرض هذه الترجمة والانتقادات التى وجهت اليها على بعض المتفوقين عندذ في اللغة الفرنسية ممن يستطيعون البت في هذا الامر فوافق المجلس على ذلك .

وفي مساء الفاتح من ذى الحجة عقدت الندوة الاسلامية العالمية في القاعة الكبرى من مقر الرابطة . وشارك فيها كثير من المفكرين المسلمين الذين تناولوا القضايا التى طرحت للمناقشة . وهذه الندوة دأبت الرابطة على عقدها منذ أربع سنوات على اثر انتهاء المجلس التأسيسي من أعماله. وتبدأ بعد صلاة العشاء مباشرة وتمتد الى منتصف الليل وتستمر أربع ليال .

وقد كانت الموضوعات التى عرضت فيها هي الحج وأهدافه ،والقاديانة ، والمرأة في الاسلام ، والاقليات الاسلامية، وافتتحها أحد الامراء السعوديين ، وترأس جلساتها علماء أجلة من السعودية باستثناء الجلسة التى كان موضوعها المرأة في الاسلام ، فقد أسند المشرفون على الندوة رئاستها الى. وقد تناولت فيها الكلام على تكريم الاسلام للمرأة والحقوق التى خولتها لها الشريعة الاسلامية ، وقارنت بين وضعية المرأة المسلمة وغيرها ، مظهرا المزايا العديدة التى تتمتع بها المرأة المسلمة والتى ليس لغيرها منها حظ ولا نصيب .

وذلك هو ما حدا بالمنظمة الدولية الى اعلان السنة الحالية سنة عالمية للمرأة دفاعا عن حقوقها التى ما زالت

محرومة منها ، وقلت ان الرجل في الغرب تخلى عن المرأة أما وزوجا وبنتا وأختا ، ، ودفع بها الى الشارع لتعمل على كسب قوتها ، فامتهنت كرامتها ، وانكشف زيف الهالة التى يحيطها بها بعض المترفين ، زعما بأن المرأة عندهم في المقام الاول من الاحترام . وتكلم في هذه الجلسة فضيلة الشيخ محمد الغزالى والاستاذ احمد محمد جمال عضوا الندوة . وأثيرت مسألة منع النساء من المساجد ومن زيارة المقابر كما ترى ذلك بعض المذاهب . واحتد النقاش بين المجيزين والمانعين نظرا لتعارض النصوص في الظاهر . وبعد اتاحة الفرصة لكل من الطرفين للاداء بما فيه الكفاية من الحجج لرأيه رأيت رفع الجلسة لان رجوع أحد الطرفين عن رأيه غير ممكن ولو طال النقاش ما طال .

وقد صدرت عن الندوة توصيات مهمة في كل موضوع من الموضوعات التى تناولتها واختتمها السيد الامين العام بكلمة جامعة .

وبعد تمام أشغال المجلس والندوة انفضت تلك الجموع وبدأ الاهتمام بموسم الحج ، على أن بعض الاعضاء رجع الى بلاده اذ كان قد حج من قبل وله من الاعمال ما اضطره الى الرجوع . وهنا أذكر انى دخلت مكة محرما بعمرة من غير تمتع، اعتبارا بقول الامام مالك ان التمتع هو أن يعتمر الانسان في اشهر الحج ثم يحج من عامه فهو قد تمتع

بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة ، وهو معقول المعنى وان كان خلاف المشهور ، وأما عبد الله بن الزبير فالتمتع عنده هو ان يحصر المرء عن الحج بعدو حتى يفوته الحج فيعتمر عمرة يتحلل بها من احرامه ثم يحج من قابل قضاء لحجته . فهو قد تمتع بفعل الممنوعات من الحج في وقت تحلله بالعمرة الى الحج القابل، وهو ظاهر الآية، (فان احصرتم فما استيسر من الهدى.) وعلى كل فانى قد حججت مرارا والحمد لله مفردا ومتمتعا ، وسفرى في هذه المرة لم يكن بقصد الحج او العمرة وانما كان بقصد المشاركة في اجتماع مجلس الرابطة ومنه جاءتنى الدعوة ولاجله حضرت، فاعتمارى كان لاجل دخول مكة المكرمة حيث أن دخولها انما يكون بأحد النسكين، ولما تم العمل الذى جئت من أجله أنشأت الحج من جديد فلم يلزمني هدى لانى لم أكن متمتعا على رأى الامام مالك ولا على رأى ابن الزبير بالاحرى . وقد ذاكرت في هذه المسألة بعض الرفقاء من أهل العلم فوافقوا عليها وقال لى فضيلة الشيخ حسين مخلوف انني قد لزمني في الهدى 300 ريال -لانه كان مصحوبأبكريمته- ولو أطلعت على هذا القول من قبل لعملت به .

وموسم الحج في هذه السنة كان مكتظا بالخلق ، حضره بحسب الاحصاء الرسمى ما يزيد على مليون ونصف من الحجاج ، وقد امتلأت الفنادق والمنازل وخيم الحجاج في الدروب والساحات العمومية ومع ذلك فان كثيرا منهم قد خرجوا الى منى قبل الابان ونزلوا في خيامها وكانوا ينتقلون

بالسيارات الى مكة . ونحن ضيوف الرابطة كذلك انتقلنا الى مبناها بمنى من يوم 21 قعدة وصرنا نتردد بينها وبين المركز العام الذى تقع فيه الاجتماعات والمسجد الحرام بالسيارات الخاصة التى جعلتها الرابطة تحت تصرفنا وفي بعض الايام كنا لا نصل الى الحرام الا بمشقة عظيمة من كثرة الازدحام .

أما الوقفة فكانت عظيمة لم نشعر فيها بأى تعب ، وقد هيأت لنا الرابطة خيمة مريحة لكل عضو د زيادة على السرادق الكبير الذى كان يستعمل مسجدا وملتقى لكل الاعضاء بل لكل من تستضيفهم الرابطة في أيام منى، وهم جماعات كثيرة من اهل العلم والفضل ، وأعضاء المؤتمر الاسلامى العام ، وغيرهم وكان الجو في غاية الاعتدال مما زاد الموقف روحانية وجمعا للقلوب على الله عز وجل .

وبعد النفر صلينا المغرب والعشاء بالمزدلفة والتقطنا حصيات الرمى ومكثنا بها قليلا للدعاء ، ثم يممنا منزلنا بمنى انا والسيدة قرينتى،، لم نستطع المبيت بالمزدلفة لشدة البرد، ومع ذلك فلم نصل الى المنزل الا بعد نحو ساعتين لانسداد الطريق بآلاف السيارات العائدة . وقد علمنا ان غيرنا قضى اضعاف ما قضيناه من الوقت في الرجوع .

ووقع بمنى يوم النحر قبيل الزوال حريق مروع في مخيمات الحجاج الواقعة بمنطقة المجزرة القديمة ، ذهب

ضحيته 138 شخصا كما أصيب 151 آخرون نقلوا فورا الى المستشفى ، وهذا فضلا عن الخسائر المادية التى كانت مهمة جدا منها 183 سيارة ، وكان سبب نشوبه انفجار أنبوبة من أنابيب الغاز التى يستعملها الحجاج للطبخ . وقد جندت الحكومة كل الطاقات المختصة لحصر الحريق في أضيق دائرة ومنعه من الانتشار ، كما نصبت الخيام الكافية لايواء الحجاج الذين بقوا بدون مأوى ، وعوضت الذين احترقت امتعتهم ، فدفعت لكل واحد منهم ألف ريال سعودى كما جاء في البيان الرسمى الذى اذاعته وزارة الداخلية .

والحقيقة أنه لولا لطف الله وقيام الحكومة بالواجب لكانت كارثة لا توصف ، فان الازدحام الذى وقع هذا العام لم يتقدم له نظير ، والناس لا ينضبطون بحال والاهمال هو الطابع اللازم لهم ، فهذه أوعية الازبال موضوعة على جوانب الطريق بالعشرات ولكن أكوام الزبل متراكمة هنا وهناك لا تعرف طريقها الى تلك الاوعية ، وأماكن الوضوء معدة في كل المشاعر والاغلبية من الحجاج انما يروق لهم الوضوء على حلفات الطرق فتتلوث الشوارع وتنتشب الاقذار ، وكأن القوم ما جاؤوا ليتطهروا معنى كما تطهروا حسا بمقتضى أوامر دينهم من الرجس والنجس .

ولقد شاهدت البناء العادى الضخم الذى أقامته الحكومة بمنى على الجمرات الثلاث من أجل تسهيل عملية الرمى ، أنا وبعض أعضاء المجلس التأسيسي للرابطة قبل حلول الموسم

ببضعة أيام ، وكنا لجنة موفدة من المجلس لرفع تقرير اليه عن هذا البناء ، فشاهدت ما ملا النفس ارتياحا وانشراحا ، اذ وجدنا حقا أن البناء حل مشكلة الرمى بما لم نكن نتصوره، وحدثنا المهندس المشرف على المشروع بأن طول البناء يزيد على كيلومتر وعرضه يبلغ 80 مترا، وقوة احتماله بالنسبة الى السطة خمسة أضعاف، ومنافذه عندالجمرةالثالثةعلواوسفلا كفيلة بتصريف جميع الذيـن رموا مـن غير أن يرجعـوا على أعقابهم .

هذا فضلا عن الساحة الكبرى التى جعلت أمامه وهـدم لاجلها بنايات عديدة وهي وحدها تسع عشرات الالوف من الناس ، وسألت المهندس كم يسع المبنى من الانفاس فقال لى انه يتسع لربع مليون وقد سررنا بما رأينا وسمعنـــا وكتبنا التقرير الذى تضمن بعض الملاحظات الخفيفة القابلة للتنفيذ بدون أدنى صعوبة ، ومعظمها راجع لكتابة لافتـــات باللغات المختلفة للدلالة على الطريق القويم واقامة بعـــض الحراس عند الجمرات لمجرد المساعدة وما الى ذلك .... فماذا رأيت عند التوجه للرمى في يوم ثانى العيـد ؟ ....

لقد احتل الحجاج الساحة المشار اليها بأعدادهم وعددهم فلم يتركوا فيها ممـرا لاحد، وسالـت نواحيها بالماء العفـن وأقيمت فيها أسواق لبيع المواد الغذائية وخلافها من الملابس والسبح والاقلام واللعب وهلم جرا ، وأما المبنى فجوانب

أرضيته اتخذت أيضا مأوى ، مما تسبب في تضييق سعته ، وجوانب سطحه احتشد فيها المتفرجون يمينا وشمالا ، وهذا فضلا عن الازبال وفردات النعال التى يرمى بها الشيطان في زعمهم، والذاهبون والآئيبون قد عوقوا المرور برغم المنافذ التى التى ذكرت أنها كفيلة بانصراف الناس من حيث رموا وعدم اضطرارهم الى العودة من حيث أتوا ، والله في خلقه شؤون .

ومع ذلك فان مشكلة الرمى يمكن أن يقال انها حلت بهذا المبنى العظيم وفي اليوم الرابع اذ لم أكن من المتعجلين شاهدت شاحنات مملوءة فقط بشعر المحلقين المقصرين وعليهافليقس وهذا ان يكن يرجع بعضه الى كثرة الحجاج، فان أكثره راجع الى عدم التزامهم بالنظام ، والى الفوضى الغالبة عليهم ، والى قلة توعيتهم بأحكام الحج والنسك والشعائر الدينية ، المبنية كلها على النظافة والخشوع والطاعة ، ولهذا فنحن مدعوون لتنظيم الحج على مستوى الحكومات الاسلامية تنظيما يليق بهذه الشعيرة العظيمة التى لو لم يكن من فضلها الا تعارف المسلمين وتلاقى شعوبهم في بيت الله الحرام وصعيد عرفات ومنى ، مؤتمرين لما يصلح أحوالهم ويحقق آمالهم ، في التحرر والوحدة لكفى . لكن حكام المسلمين – ويا للاسف – مشغولون بما شغلهم به أعداؤهم من (تنظيم النسل) وتاركون لما يجب عليهم من النظر فيما يحفظ كرامتهم ويرفع من شأنهم عند الله وعند الناس .

ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ومن واجبي وقد ذكرت بعض الملاحظات المتعلقة بالحجاج أن أذكر مثلها مما يتعلق بالحكومة السعودية فانها جزاها الله خيرا تبذل في سبيل تسهيل الحج بغير حساب ، وكفى عمارتها للمسجد الحرام وللمسعى ومبنى الجمرات وعمارة المسجد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وغير ذلك من المنشآت وتعبيد الطرق والتجهيز الصحى وتوفير المياه اليافية لهذا العدد العديد من الحجاج بحيث يصح القول أن ما عملته هذه الحكومة الرشيدة في أربعين سنة ، لم تنهض ببعضه الخلافة العثمانية في أربعة قرون . ولكنها تغض الطرف عن سلوك المطوفين وأصحاب الفنادق والمطاعم الذين يستغلون الحجيج أسوأ استغلال ، مستفيدين من الجو الروحى الذى يتيحه الحج لوفود الرحمن . ولا يصح ان يكون هذا الجو وسيلة لابتزاز الحجاج فانه من عطاء الله وليس من عطاء أحد . ومن البديهي ان الخدمات التى يؤديها هؤلاء للحجاج والمآوى التى يهيؤونها لهم لا تساوى ربع ما يستخلصونه عليها، فلو أن الحكومة هيأت مآوى شعبية للحجاج بثمن شبيه بثمن مثلها في البلاد الاخرى لقللت من هذه الجماهير الغفيرة التى تحتل الطرقات والساحات وبلاطات المسجد الحرام وغيره من المساجد ، أو لو أنها فرضت رقابة صارمة على أرباب المنازل والفنادق بعد وضع تسعيرة مناسبة لها لافاد ذلك في هذا الصدد فائدة جلى ، ومثل ذلك يقال في اثمان المواد الغذائية ، فقد قرأت في الصحف المحلية أن ثمن

الدجاجة كان في أول الموسم ثمانية ريالات فأصبح بعد ذلك ثمانية عشر ريالا أى بزيادة 20 في المائة وليقس ما لم يقل. فلاجل ايجاد المناخ الاخوى الذى يجعل الحج مؤتمرا اسلاميا ناجحا محققا لقوله تعالى : « ليشهدوا منافع لهم » يجب أن تقف الحكومة السعودية بالمرصاد لكل ما يسبب الشنآن والخصام والكراهية والبغضاء بين الحجاج والمستضيفين لهم من هذا الاستغلال البشع ، ومن الاهمال للحجاج بعد استخلاص الواجبات منهم ، ومن جميع أنواع المعاملات التى لا تكون سببا في المحبة والتقارب بين المسلمين .

وعلى حسب ما نشر في الصحف المحلية فان مشروعا لاسكان ما يقرب من ثلاثة ملايين حاج في منى هو قيد التنفيذ خلال العامين القادمين ، وأن تنظيم المرور بمشاعر الحج الكترونيا هو كذلك رهن الانجاز في المدة المذكورة ، فعسى أن يصحب ذلك تنظيم الاسكان بمكة المكرمة والمدينة المنورة والله الموفق .

وبعد الانتهاء من مناسك الحج قصدنا مدينة الرسول (ص) ونعمنا بنفحات القرب من مرقده الشريف ، والسلام عليه وعلى صاحبيه (رض) مواجهة . والصلاة في ثانى الحرمين، وبين المنبر والمقام ، وزيارة جميع المشاهد والمعاهد التى كان الوحى ينزل فيها ، والصلة بينهما وبين السماء لا تنقطع، والملائكة تزاحم المومنين فيها بالمناكب ، والدين يكتمل ،

والشرع يتقرر ، ودولة الاسلام ترتفع قواعدها والملة المحمدية تتوطد دعائمهـــــا .

وبما أننا ترافقنا مصادفة في الطريق أنا وفضيلـــة الشيخ احمد الهريرى مفتى الديار المصرية سابقــا ، وكنــا متجاورين في الفنذق الذى نزلنا به، فان رفقتنا استمرت اثناء المقام في المدينة المنورة وفي الزيارة وأوقات الصـلاة علـى الخصوص ، والشيخ الهريرى تقدمت معرفتى به في المؤتمـر الاسلامى الدولى بماليزيا اذ كان من ضمن الوفـد المصـرى الذى صحب وزير الاوقاف والازهر الدكتور عبد العزيز كامل ، وهو من أفاضل العلماء هديـا وسمتـا واطلاعـا ومعرفـة ، وقد انست زوجتى بالسيدة زوجته وقضينا معا أوقاتا جميلة لا تنسى .

وهذه احدى مزايا اللقاءات العلمية والمؤتمرات الاسلامية التى تجمع بين النخبة من أهل العلم والمعرفة ، ويزيـد لقـاء المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامـى بكونـه يقـع في الاماكن المقدسة والبقاع الطاهـرة فتتـم فيه المزاوجـة بين المادة والروح، والدين والدنيا . ولقد سعدت فيه بلقاء العلماء الاجلة : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن بـاز بعد معرفـة روحية سابقة ومراسلات عديدة وهو رئيس الجامعة الاسلامية الشهيرة بالمدينة المنورة وكاتب الدراسـات العلمية المحررة المنشورة بمجلة الجامعة المذكورة ، وهو يلى الآن رياسة ادارة البحوث الاسلامية والافتاء والدعوة والارشاد . والشيخ عبد

الله بن حميد مدير الرياسة العامة للاشراف الديني بالمسجد الحرام . ومقامه العلمى معروف . والشيخ محمد الحركان وزير العدل سابقا وهو أيضا من خيرة العلماء الجهابذة النظار ، وكنا لا نكاد نفترق مع الشيخ محمد حسنين مخلوف والشيخ محمد محمود الصواف الذى يعرفه المغرب من زياراته السابقة له ، والشيخ الشاذلى بن القاضي من كبار علماء تونس ، وقد اجريت واياه مذاكرات علمية مفيدة وهو حفظه اللـه معين لا ينضب ، وأخبرنى أن العلامة المرحوم الشيخ الطاهـر بـن عاشور كان لا يرى الاحرام بالطائرة وانما يحرم من جدة وذالك لما أشعرته بفتواى في المسألة والشيخ محمد الغزالى الذى كان جارى في محل اقامتنا وقد أحبرنى ان الحجاج المصريين يعانون مشقة كبيرة من الاحرام في الطائرة واهتم بالفتوى ، المذكورة ورأى فيها حلا للمشكل ، والشيخ الدكتور عبد الحليم محمود شيخ جامع الازهر الذى كان من ضيوف الرابطة في منى وقد تكرر اجتماعنا به ومذاكرتنا معه في شـؤون العلـم والعالـم الاسلامى ، وهو ممن لا يحتاج الى تعريف . الى غير هـؤلاء من علماء الهند وباكستان وتركيـا الذيـن وجهـوا الى دعـوة لزيارتهم فضلا عن غيرهم من علماء البلاد العربية والافريقيـة الاخـــــرى .

ويقضي على الاعتراف بالفضل لذويه أن أنوه بجهـــود السيد الامين العام للرابطة الشيخ محمد صالح القزاز في خدمة الوفود وتوفير الراحة لهم ونشاطه المنقطع النظير الذى هـو

السر في نجاح أعمال الرابطة والمجلس التأسيسي والندوة الاسلامية العالمية فهذا الرجل بما آتاه الله من علم وسجايا حميدة فوق كل تقدير ، وانى أدعو له أن يحفظ الله عليه ما آتاه ويطيل عمره في صحة وعافية .

وكنت أريد أن أختم هذه الكلمات ببعض المساجلات الشعرية التى جرت بينى وبينه . لكنى رأيت الحديث قد طال فاحتفظت بها لديوان « صنوان وغير صنوان » والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

كلمة المؤلف في المجلس التاسيسي لرابطة العالم الاسلامى بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

السيد الرئيس

السيد الامين العام

السادة العلماء أمناء الله على وحيه وشريعته

أحييكم وأحمد الله لى ولكم على ما أتاح لنا من هذا اللقاء الكريم ، في حرمه الامين بدعوة من رابطة العالم الاسلامى التى شرق ذكرها وغرب ، وأصبحت منارا للهدى والرشاد في جميع أنحاء المعمور ، ولعل فضيلتها الاولى على ما لها من فضائل ، انها تستقطب العلماء الذين نذروا أنفسهم لخدمة الدعوة الاسلامية د والذب عنها وارساء قواعدها على أساس الكتاب والسنة، وماكان عليه السلف الصالح، من تمسك بالعروة الوثقى ، وسلوك المنهج الواضح فكانت بذلك من المؤسسات الاسلامية القليلة التى لاتميل بها الاهواء، ولاتضل على علم فالاسلام يأوى منها الى حصن منيع تتكسر على جنباته جميع التيارات الفكرية المرفوضة ، والمذاهب الاجتماعية المنبوذة ، فهنا لا مكان الا للاسلام الصحيح الذى لا تشوبه شائبة مثل الماء المطلق الذى لاتصح الطهارة الا به (وهو ما صدق عليه اسم ماء بلا قيد ....

والذين يحاولون أن يصفوا الاسلام بغير صفته أو يضيفوه الى غيره ، ان كانوا مجتهدين فان الامر سيقضي بهم

الى ايجاد اسلام معارض للكتاب والسنة أى دبن آخر كما فعل البروتستانت بالنصرانية على ما بها وان كانوا مسايرين فان الاسلام انما أتى ليقتدى به لا ليذوب في غيره وعلى كل فان هؤلاء ليسوا من الرابطة في قبيل ولا دبير ، وذلك هو سر نجاحها .

أيها السادة :

انكم بالتعبير الحديث الاطر الفنية لهذه الرابطة وانكم بما أقامكم الله فيه من نصرة دينه واعلاء كلمته انما تؤدون زكاة العلم وتحققون الوراثة النبوية ، فاذا كان العلماء ورثة الانبياء فليس وصف العلم بمجرده مما يؤهل لهذه الوراثة بل لا يكون العالم أهلا لها حتى يعمل بماعلم،ويجاهدكماجاهد الانبياء والمرسلون ويوذى في سبيل الله كما أوذوا فقد قال الامام مالك « ما ثم أحد يخاف عليه يوم القيامة أكثر من العلماء فقد بلغنى أنهم يسألون عما يسئل عنه الانبياء » وكان عمر بن عبد العزيز يقول « ما أغبط أحد لم يصبه في هذا الامر أ ذ ى » .

ان العالم الاسلامى يتخبط في مشاكل عديدة مشاكل اقتصادية تجعل اقتصاده مكملا لاقتصاد غيره فهو تبع له ودائر في فلكه حتى أنه ليقع في المخالفة الصريحة لتعاليم دينه ويغرق في الربويات الى الاعماق .

ومشاكل اجتماعية قلبت حياته راسا على عقب اذ

طبعته بطابع التقليد لكل ما هو أجنبى عنـــه، وجعلـت منــه مجتمعا مزيفا لا هو بالشرقى ولا بالغربى وناهيكم بمـا يؤثره هذا الواقع في معنويات أبنائه وسلوكهم واعتقادهم .

ومشاكل سياسية ، أضعفت قوته وصيرته كما مهملا لا يؤبه به ، ولو شاء لكان قوة عالمية لها وزنها وقيمتها في توجيه السياسة الدولية وحفظ التوازن السياسي في المحيط الاممى

اننا مدعوون لخوض هـذه المعارك بحكـم عموم الدعـوة الاسلامية وشمولها لجميع ميادين النشاط والتطور الانسانى دينا ودنيا ، فان من المعلوم ان الاسلام عقيدة وشريعة وحكم ونظام ويجب على علمائه السهر على تنفيذ أحكامه ، وتطبيق نظامه ، فان مهمة العلماء ليست هي الدعوات وقراءة الفاتحات ولكنها توعية الجماهير وتقوية الشعـور الدينـى في الافـراد والجماعات حتى تصبح قادرة على الاختيار وعدم الايسيـاق مع كل ناعق وحتى يتكون رأى عام اسلامى ، أول ما يؤثر في ايقاف التيارات الاجنبية التى نتلاعب بها وتسخرنا عن حيث نشعر أولا نشعر لخدمة مصالحها والتمكين لنفوذها في بلادنا .

السيـد الرئيس

السيـد الامين العـام

السادة العلماء امناء الله على وحيه وشريعته ،

أشكركم على انتخابى عضوا في مجلسكـم الموقـر ، وأرجو أن اكون عند حسن ظنكم بى ، واترحـم على سلفـى

كلمة المؤلف في المجلس التاسيسي لرابطة العالم الاسلامى بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

السيد الرئيس

السيد الامين العام

السادة العلماء أمناء الله على وحيه وشريعته

أحييكم وأحمد الله لى ولكم على ما أتاح لنا من هذا اللقاء الكريم ، في حرمه الامين بدعوة من رابطة العالم الاسلامى التى شرق ذكرها وغرب ، وأصبحت منارا للهدى والرشاد في جميع أنحاء المعمور ، ولعل فضيلتها الاولى على ما لها من فضائل ، انها تستقطب العلماء الذين نذروا أنفسهم لخدمة الدعوة الاسلامية د والذب عنها وارساء قواعدها على أساس الكتاب والسنة ، وماكان عليه السلف الصالح ، من تمسك بالعروة الوثقى ، وسلوك المنهج الواضح فكانت بذلك من المؤسسات الاسلامية القليلة التى لاتميل بها الاهواء ، ولاتضل على علم فالاسلام يأوى منها الى حصن منيع تتكسر على جنباته جميع التيارات الفكرية المرفوضة ، والمذاهب الاجتماعية المنبوذة ، فهنا لا مكان الا للاسلام الصحيح الذى لا تشوبه شائبة مثل الماء المطلق الذى لاتصح الطهارة الا به (وهو ما صدق عليه اسم ماء بلا قيد ....

والذين يحاولون أن يصفوا الاسلام بغير صفته أو يضيفوه الى غيره ، ان كانوا مجتهدين فان الامر سيقضي بهم

المجاهد المبرور الاستاذ علال الفاسي رحمة الله عليه .

واقرئكم سلام اخوانكم العلماء بالمغرب وأحبى هذا البلد العظيم شعبا وحكومة ، وملكا شرفه الله بخدمة الحرمين وجعله معقد الامال في تحقيق نهضة الاسلام والمسلمين .

والسلام عليكم ورحمة الله .

**
*

دار الطبـاعـة الحـديثـة

51 ـ 53 ، زنقة فردان ـ الدار البيضاء